سلسلة زاد المؤمن ١١

خُلُق المسلم

أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خُلُقاً

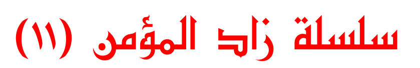


د. خالد بن عبدالرحمن الجريسي

تقديم

العلامة الشيخ

د. عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين



خُلق المسلم

تأليف

د. خالد بن عبد الرحمن الجريسي


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله الذي جعل حُسن الخلق أسمى كمالاتِ الإيمان، وارتضى العملَ به حتى جعله أثقلَ شيء في الميزان، وبوَّأ أهلَه أعلى منازلِ الجِنان، أحمده سبحانه حمدَ أهل الإحسان، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدنا محمدًا عبده ورسوله، أحسن الناس خَلْقًا وخُلُقًا، وأشرفهم قَدْرًا وأدبًا، صلوات ربِّي وسلامه عليه ما تلا: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إنسٌ مؤمنٌ أو جانٌّ.

وبعد، فإن المسلم صورة حية عن دينه، ولسانُ حالِه ناطقٌ عن إسلامه؛ وقد بات من المسلَّم به لدى علماء الاجتماع وروَّاد التربية أن القدوة الحسنة هي أبلغ تأثيرًا، وأقوم قيلاً من مقالٍ ولو كان حقًّا، ومن موعظة وإن كانت بليغة حسنة؛ لذا، فإنَّ حُسن تصرُّفِ المسلم؛ بتخيُّره اللائق من الكلام، والمناسب من الأفعال: يحقِّق له - أولاً - شخصيَّة سويَّة، يكسب بها احترام الآخرين ومحبَّتهم، كما يؤكد بذلك - عمليًا - أحقِّية اتباع تعاليم الدين وخيريةَ العمل

بها، فضلًا عن الإسهام في إبعاد تصوُّر خاطئٍ، ساد مجتمعاتِنا - للأسف البالغ- مفاده: أن التديُّن بإقامة أركان الإسلام شيء، وطريقة التعامل مع الناس شيء آخر، وهذا التصور الباطل لم يأت من فراغ بل لوجود نماذج - ليست بالقليلة - تمارس ازدواجية مقيتة بين الفكر والسلوك، في حين أن الضرورة تدعو إلى المزاوجة بينهما بمراعاة أدب الإسلام بحسن التعامل، مع الحرص - في الوقت نفسه- على حسن التزام العبادات.

وتكريسًا لهذا المفهوم الإسلامي للأخلاق، فقد عمدت في كتابي هذا: [**خُلُق المسلم**]، إلى إبراز الجانب العملي للأخلاق، نائيًا به عن ذكر البحوث الأخلاقية النظرية، التي طالما بقيت حبيس المجلدات، ولم تتجسَّد واقعًا في حياة كثير من المسلمين.

هذا، وقد التزمت فيه ما كان صحيحًا من الأحاديث أو حسنًا، واقتصرت في تخريجها على ما تقتضيه الضرورة من إجمالٍ؛ وقد جعلت هوامش الكتاب في آخره؛ تيسيرًا على القارئ وحرصًا على نفعه.

أما تقسيم الكتاب، فقد جعلته على أربعة فصول - بين المقدمة والخاتمة - كالآتي:

- **الفصل الأول**: نصوص في ثواب حُسن الخُلق وفضله.
- **الفصل الثاني**: جوامع الأخلاق (تطبيقات عملية).
- **الفصل الثالث**: الأدب في التعامل.
- **الفصل الرابع**: آداب إسلامية عامة.

هذا، وإني لأرجو الله عزَّ وجلَّ أن ييسِّر لي وللمؤمنين والمؤمنات حُسن التخلُّق بأخلاق الإسلام، وأن يتقبَّل مني

عملي هذا، وأن ينفع به عباده، إنه قريب مجيب، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا محمَّدٍ معلِّم الناس الخير، وعلى آله وصحبه أجمعين.

د/ خالد بن عبدالرحمن الجريسي

الفصل الأول

نصوص في ثواب حُسن الخُلق وفضلِه

ليس من المبالغة إذا قلنا: إن دين الإسلام مداره جميعًا على الأخلاق؛ فلو أنك تأملت بإمعانٍ الأحكامَ الدينية؛ عقيدة وشريعة -عبادات ومعاملات-، لوجدت أن للأخلاق مدخلاً في معظمها، وفي قول النبيِّ ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[1]، تصريح بأن دعوات الرسل جميعًا عليهم السلام إنما كانت تدعو دومًا إلى ضرورة امتثال الخلق القويم في حياة الناس؛ سواء في

ارتباط الأخلاق بالأمور الدينية، أو في ارتباطها بالأمور الاجتماعية.

هذا، ومع كون التعاليم الدينية بعامَّةٍ - كما ذُكِر آنفًا- متعلقة بوضوح بالأخلاق، إلا أن نصوصًا عديدة قد صرَّحت بتمجيد الإسلام لصالح الأخلاق، والدعوة إليها، وهاك جملةً من تلك الأدلة الكريمة:

- يقول الله تعالى - مُثْنِيًا على نبيِّه محمد ﷺ، مَعْدِنِ الأخلاق وجامعِها-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤].

وقد كان خُلُقُ نبيِّ الله القرآن(٢).

وقد كان ﷺ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقًا(٣).

- ويقول صاحب الخلق العظيم ﷺ:

- «إِنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ ٱلصَّائِمِ ٱلْقَائِمِ»(٤).
- «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»(٥).
- «ٱلبِرُّ: حُسْنُ ٱلْخُلُقِ»(٦).
- «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ ٱلْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ ٱلْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ ٱلْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ

ٱلْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى ٱلْجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُه»(٧).

- «أَكْمَلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِ»(٨).

- «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا فِي الآخِرَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»(٩).

- «مَا مِنْ شَيْءٍ أثقلَ في ميزان المؤمن يوم القيامة من حُسْنِ الخُلُق»(١٠).

- «أتدرون ما أكثر ما يُدْخِلُ الناسَ

الجنة؟»، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: تقوى الله وحُسْنُ الخُلُق»(١١).

- وكان من وصايا النبيِّ ﷺ: «اتق اللهَ حيثما كنتَ، وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن»(١٢).

- وكان من دعائه ﷺ: «اللَّهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئَها، لا يصرفُ سيِّئَها إلا أنت»(١٣).



الفصل الثاني

جوامع الأخلاق (تطبيقات عملية)

تمهيد:

قال عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ - في وَصْفِ حُسْنِ الخُلق -: (طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكفُّ الأذى)(١٤).

هذا الجانب العملي للأخلاق هو المقصود الأول من تشريعها؛ فقد يكون يسيرًا للغاية معرفة هذه الأخلاق والتفقُّهُ بها، لكن الالتزام بتطبيقها واقعًا يحتاج إلى عزم بالغ ومجاهدة للنفس قلَّ من

يستطيعها؛ من هنا كانت مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام مَدْرَجًا يبلغ بالمرء - إذا عمل بها تامَّةً - مرتبة الصدِّيقين.
ونحن لا نقصد هنا ذكر أفرادها جميعًا، لكنْ ثمة أخلاق مسلَّمات لا يَجْمُل بمسلم الغفلة عنها، علمًا بها أو عملًا بمقتضاها؛ إذ كيف يُتصوَّر - مثلاً - أن مسلمًا لا يتخلَّق بخُلق الرحمة، أو مؤمنًا لا يؤدي الأمانة إلى أهلها، ثم هو يَبْخَسُ الناس أشياءهم، ويَعْنُفُ عليهم، ويعاملهم بكذب الحديث؟!

إن مثل هذا المسلم يحتاج إلى أن يبذل جهدًا مضاعفًا؛ يتيقن فيه - أولاً -

أن تلك الأخلاق هي من مهمات ما جاء به هذا الدين، ثم يعمد إلى فِقْهها، ومن ثَمَّ مجاهدة نفسه بالعمل بمقتضاها واقعًا في حياته.

هذه الأخلاق الجامعة قد تخيَّرت من جوامعها ما لا يسع المسلمَ جهلُه؛ تَعلُّمًا وعملًا؛ أذكرها، معرِّفًا بكلٍّ منها، ومستدلًّا لها، ومبيِّنًا لبعض المجالات العملية في تطبيقها:

١- خُلق "الحياء".

الحياء: (تغيُّرٌ وانكسار يصيب العبد، لخوفِ ما يُذَمُّ به، أو يُعاب عليه)(١٥).

وإن درجة حياء المؤمن تدل بالضرورة على مدى إيمانه؛ قال عليه الصلاة والسلام: «الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا؛ فإذا رُفِع أحدُهما رُفِع الآخر»(١٦).

وقال ﷺ: «الحياء شعبة من الإيمان»(١٧).

ثم إن الحياء تصرُّف راقٍ لا بد أن يُقدَّر عند الناس، ويؤتي ثماره، ولو بعد حين، قال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»(١٨).

• خطوات عملية لتطبيق خُلق الحياء:

- استحضار الإخلاص عند أداء الفرائض واجتناب النواهي.

- تحرِّي الحلال في الكسب والإنفاق.
- تـرك الإنـفـاق فـي غـيـر ضـرورة أو حاجة.
- تجنب وقوع الخلوة بين الجنسين؛ ولو من عجوزين!
- عدم سفر المرأة بدون مَحْرم معها.
- عدم المجاهرة بذكر المعصية أمام الآخرين.
- طـول الـصـمـت، والـعـفـة عـن قـول السوء.
- تـعـوُّد غـضِّ الـبـصـر، والـمـبـادرة بالسلام.

- الامتناع عن إيقاع أيٍّ أذى بالآخرين.
- الحرص على طلب العلم والتفقُّه في الدِّين، ولو مما يُتَحَرَّجُ من معرفته، أو بالتفقُّه ممن هو دونك في القَدْر الدنيوي.

٢- خُلق "الصدق".

الصدق: قول الحق المطابق للواقع(١٩).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الصدق

يهدي إلى البرِّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل لَيَصْدُقَ حتى يُكتب عند الله صِدِّيقًا، وإن الكذب يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يُكتب عند الله كذَّابًا»(٢٠).

- **خطوات عملية لتطبيق خُلق الصدق:**

- تجديد استحضار الإخلاص عند كل عبادة تقوم بها.
- تحرِّي الصدق في كلِّ قولٍ تنطق به.
- تحرّي الصدق في متابعة سُنَّة النبيِّ ﷺ، واجتناب ما يخالفها.
- تحرّي الصدق في البيع والشراء

وسائر معاملات المال.

- تحرّي الصدق في الشهادات جميعها، وبخاصة في الدماء والأموال والأعراض.
- تحرّي المعلِّم: الصدقَ في عملية التعليم؛ باستفراغ الوسع في إفادة المتعلِّم، ونصحِه.
- تحرّي الإعلامي الصدقَ بقول الحقيقة كاملة؛ فقد يكون حَذْفُ كلمةٍ من خبرٍ، أو إضافةُ جزئية إليه كافياً لتحريفه، أو قلب معناه.
- الوفاء بالعهود والمواثيق؛ ومن ذلك التزام المسلم بأنظمة البلد الذي

ارتضى الإقامة فيه.

- تحرّي الصدق في إطلاق الأوصاف على مستحقِّيها، وتقدير الناس قَدْرهم، مع الحرص على ترك المَلَق والتزلُّف إليهم بغير ما يستحقونه.

ومعلوم أن العمل بالصدق أمثلته لا تنحصر، وصدق رسول الله ﷺ، القائل: «وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ ٱللهِ صِدِّيقًا»(٢١).

٣- خُلق "الأمانة".

الأمانة: هي شعور المرء بتَبِعَتِه في كلِّ أمر يُوكل إليه، وإدراكُه الجازم بأنه

مسؤول عنه أمام ربه، وهي بذلك تساوي الشعور بالمسؤولية، ما يعني شمول مفهوم الأمانة لمجالات واسعة تعمُّ مناحي الحياة كلَّها، وتصرفات الإنسان كلِّيَّته جسدًا وروحًا، كما تشمل المسؤولية الدينية، بتمام تكاليفها(٢٢).

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النِّساء: ٥٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤْتُمِن خان»[٢٣]، وزاد مسلم: «وإن صام وصلَّى وزعم أنه مسلم».

- **خطوات عملية لتطبيق خُلق: الأمانة.**

- الأمانة في تأدية حق الله تعالى، بالإخلاص في توحيده، وأداء ما افترضه على الوجه المشروع، دون تقصير أو تفريط.
- الأمانة في إسناد الأمر إلى أهله، بدءًا بالقادة، وأهل العلم، وانتهاءً

بمن له أدنى مسؤولية، في شتى المجالات، موظفًا كان أم صاحب عمل، فلا يوسَّد أمرٌ إلا إلى أهله: التعليم، والطب، والهندسة، والصناعة، والزراعة، والمهن كافة دون استثناء.

- الأمانة في المعاملات المالية، سواء صغر شأنها أو كان خطرها جسيمًا؛ فتأدية دينار هي في مقياس الأمانة كتأدية قنطار.
- الأمانة في حفظ الأعراض، قولًا وفعلًا.
- الأمانة في حفظ النفس عن كلِّ ما

يضرها أو يشينها.

- الأمانة العلمية في نسبة الأقوال والمعارف إلى قائليها، وعدم تغيير شيء فيها، بما يحرّف معناها.
- الأمانة في أداء الشهادة على وجهها، بتحمُّلها كما هي، وبأدائها كما هي.
- الأمانة في حسن القضاء، بالتسوية التامة بين المتقاضيَيْن، وبالاجتهاد في إصدار الحكم وفق العدل.
- الأمانة في حفظ السر، وبخاصة الأسرار التي يترتب على كشفها ضرٌّ بصاحبها.

- الأمانة في تبليغ الرسالات اللفظية أو الكتابية أو العملية إلى أهلها تامة، ولهذا النوع خطر جسيم حالَ تحريفِه، لذا فإن الدول بالعموم لا تعتمد سفراءها إلا ممن حازوا ثقة عليا لديها.
- الأمانة في حفظ السمع والبصر والفؤاد، وسائر الحواسِّ عما لا يَحِلُّ، واستعمالها حصرًا فيما هو مشروع؛ فاستراق السمع خيانة، واستراق النظر إلى ما لا يَحِلُّ خيانة، واستيداع القلب ما ليس على اللسان خيانة.

وهكذا، تتعدد مجالات الأمانة، وتتسع دوائرها، حتى لا تدع شيئًا من أمور الدين أو الدنيا إلا واحتلت حيزًا مرموقًا فيه، فلا يصلح شيء من ذلك إلا بحسن الأمانة.

٤- خُلق "العدل".

العدل: إعطاء كلِّ ذي حقٍّ ما يعادل حقَّه ويساويه، دون زيادة ولا نقصان(٢٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النّحل: ٩٠].

وقال ﷺ: «إن المُقْسِطِين عند الله على منابر من نور: الذين يَعْدِلون في حكمهم، وأهليهم، وما وَلُوا»(٢٥).

- **خطوات عملية لتطبيق خُلق: العدل.**

- العدل في الولاية على الناس، سواء كانت ولاية خاصة أو عامة؛ ومن العدل في الولاية على الناس: إسناد الأعمال إلى أهلها الأكفياء للقيام بها، ومن العدل في الولاية أيضًا: إعطاء كلِّ ذي حق حقه، ومنح الفرص بالتساوي لجميع الأفراد بحسب كفاياتهم.
- العدل في القضاء؛ ويكون باتباع قواعد العدل الشرعية، في حسن التقاضي، والتسوية بين الخصوم في مجلس القضاء، ثم في إعطاء كلٍّ

حقَّه، وبإلزام الذي عليه الحق بتأديته، ويكون كذلك بإقامة الحدود، والجزاءات والقصاص بالمقدار المشروع.

- العدل في الشهادة، وذلك بأن تكون الشهادة مساوية لما رأى الشاهد أو سمع في الأمر الذي يشهد به، وهو أمر يتسم بكثير من الخطر، ويتطلب تمامًا في الدقة، وبخاصة إن كان متعلقًا، بدماء أو أعراض، أو أموال.
- العدل في كتابة الحقوق بما يمليه أصحاب العلاقة فيها ﴿وَلۡيَكۡتُب

بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]؛ أي: بالقسط والحق، ولا يَجُرْ - أي: لا يظلم - في كتابته على أحد، ولا يكتبْ إلا ما اتفقوا عليه من غير زيادة ولا نقصان(٢٦).

- العدل في معاملة الأزواج، بإعطاء كلٍّ منهن نصيبها من النفقة والسكن والمبيت بالسويَّة.
- العدل في معاملة الأولاد، بالتسوية بينهم بالعطاء، والتربية، والتبسُّط إليهم، وغير ذلك مما يملكه الإنسان.
- العدل في الكيل والميزان، بما

يساوي الحق الذي تم عليه التراضي.

- العدل في الإصلاح بين الناس، وبخاصة عند الخلاف المستتبع لتقاتلٍ، أو المُوقِع لفرقةٍ وتناحر.

وهكذا، فإن على المرء تحرِّي العدل في أمور الحياة كافة؛ كلٌّ بحسب موقعه، وبوسع طاقته.

٥- خُلق "الصبر".

الصبر: قوة خُلقية من قوى الإرادة، تمكِّن الإنسانَ من ضبط نفسه لتحمُّل المتاعب والمشقات والآلام، وضبطها

عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع، والسأم والملل، والعجلة والرعونة، والغضب والطيش، والخوف والطمع، والأهواء والشهوات والغرائز[٢٧].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠].

وقال ﷺ: «الصبر ضياء»[٢٨].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ومن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْه الله، وما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[٢٩].

• **مجالات الصبر التطبيقية الثلاثة مرتَّبة بالأفضلية[٣٠]:**

أ- صبر على طاعة الله.
ب-صبر عن معصية الله.
ج- صبر على امتحان الله.

ذلك أن الصبر على الطاعة وعن المعصية، صبر يتعلق فيه نوعُ كسبٍ وقصدٍ من العبد، وأما الصبر على الامتحان والبلاء فهو لمحض تمحيص مدى صبر العبد وتسليمه لقَدَر الله[٣١].

أ- **الصبر على الطاعة**، وهو أفضل أنواع الصبر وأشملها؛ حيث إن أساسه ثلاثة أمور: الاستمساك بأركان الإيمان، والعمل بأركان الإسلام، والترقي في مدارج الإحسان.

أما الصبر، على الاستمساك بأركان الإيمان: فهو يتطلب مجاهدة النفس في تعلُّم هذه الأركان ودفع الشبهات الواردة على القلب - صغيرها وكبيرها، والحذرَ من الاعتقاد البِدْعي ومجانبةَ أهله، مع المجاهدة دومًا في استحضار الإخلاص في الإيمان، وتجريد ذلك عن كل مطمع دنيوي أو مكسب آنيٍّ، والحرص على تعلُّم سليمِ الاعتقاد ونشرِه بين الناس، كلُّ ذلك يحتاج إلى صبر بل إلى مصابرة، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العَصر: ١-٣]

وأما الصبر على العمل بأركان الإسلام.

فالصلاة فريضة خمس مرات في اليوم والليلة، عدا ما يلحقها تطوُّعًا، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طـه: ١٣٢]، ولا شك بأن النفس الإنسانية - عمومًا - لا تميل إلى الانضباط وتحمُّل المسؤولية بشكل منتظم، وهي على خلاف ذلك - غالباً - تدعو صاحبها إلى الراحة والدَّعة، وإن مجاهدتها في استدامة إقامة الصلاة - وبخشوع أيضًا، وفي المسجد

كذلك - أمرٌ تستعظم النفس القيامَ به، إلا بقرار إرادي نابع من التزام قلبيٍّ عظيم بأركان الإيمان؛ لذا كانت الصلاة عماد الدين، وعلامة الإيمان، لكنها - كما في الحديث - نور، يستمد شعاعه من ضياء الصبر(٣٢)، ثم - إذا شئت - تدبَّر قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البَقَرَة: ٤٥].

والزكاة: تنازلٌ، لكنه إلزامي، عن جزء محدَّدٍ من مالك، لا يُقبل منك ما دونه ولو بمقدار يسير، أفلا يحتاج ذلك إلى عظيم صبرٍ، ومجاهدة نفسٍ في إخراجها، والإذعان لذلك، بل والرضى

والمحبة لهذه الفريضة؛ فنحن - اليوم - ننظر إلى عموم أنظمة الضريبة المالية، كيف يحتال كثير من الناس عليها، يرشو بعضهم بعضًا تمنُّعًا عن أدائها، وكيدًا بمن فرضها، وتحلُّلاً من أعبائها؛ فما الذي يجعل المسلم مقبلاً على تقديم زكاة ماله منشرح الصدر، ولو لعدة سنوات سلفًا، تطوعًا، حبًا وكرامة؟! إنه الصبر على تحمُّل ما يُكره: قناعةً بالإيمان، وتصديقًا بالأركان.

أما الصوم، فركنه الصبر، فما رأينا أحدًا قدَّم - مخلصًا - جوعَ بطنه،

وتحصين فرجه، وإمساك لسانه، وإحسان نهاره تقربًا لمخلوق ألبتة، فلولا ضياء الصبر على نفس المسلم وقلبه وجوارحه، واحتسابه الأجر في صومه، لما أقدم - فَرِحًا مستبشرًا - على منع نفسه تلك الملذات، ولما جاهد نفسه في تقديم تلك القربات.

الحجُّ: صبر في بذل مال، ووقت، وجهد، وصبرٌ في إظهار تواضع النفس، وتآلفها مع سائر الحجَّاج، وصبر في التسليم بالمناسك - كما هي - لمن شرعها، فلو طاف حاجٌّ حول مدينة بأكملها سبعًا لم يجزئه عن طوافٍ

بالكعبة! ولو مشى سبعة أو سبعين ميلاً لم يكفه عن سعي سبع بين الصفا والمروة! ولو قصد متسلِّقًا أعلى القمم لم يكن حاجًّا كالواقف بأسفل جبل عرفة! فما الذي دعا المسلم إلى قسر نفسه على التزام تلك المناسك بعينها، لا يتعداها؟! إنه الصبر على التسليم بما أمره به ربُّه، وسنَّه له نبيُّه ﷺ.

وأما الصبر للترقي في مدارج الإحسان: فمن شاء مزيدًا من تحقُّق إيمانه وإسلامه، لزمه مزيد من الصبر والمجاهدة في الترقي في منازل أعمال القلب، والمسارعة في فعل الخيرات،

والإحسان في بذل غاية الصبر، حتى التضحية بتقديم المال والنفس، فأيُّ إحسانٍ بعد هذا؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [آل عِمرَان: ٢٠٠].

ب- الصبر عن ارتكاب المعصية؛

وهو - في حقيقته - حبس النفس عن اتباع أهوائها وشهواتها، ونهيٌ متكرر لها عن مواقعة شيء من تلك الشهوات، وتذكيرٌ دائم لها بمقام ربها، وقدرتِه على إحيائها بعد موتها، ومجازاتها بما عملت، وإيرادها نارًا لا طاقة لها بتحمُّلها، وترغيبها المستمر باللَّحاق بمن

صَلَح من عباد الله، بمجاهدة النفس وزجرها عن المحارم، وبالتشُّوف لما ينتظر الصالحين من جزاءٍ حَسَنٍ عند ربِّهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النّازعَات: ٤٠-٤١].

ج- أما النوع الثالث للصبر، وهو النوع الأشهر من بينها فهو: الصبر على قضاء الله وقَدَره. ومردُّ هذا النوع إلى التسليم المبنيِّ على التصديق الجازم بأن المقدَّر كائن لا محالة، وأن المصائب - وإن كانت في ظاهرها نكبة مؤلمة، لكن في تقديرها على العبد

حكمة بالغة، لا يدرك العبد عاقبتها الخيرة في الدارين، ولست هنا أنكر ما تجلبه البلايا من أحزان بالغة، وما يكون لها من وقع أليم عند نزولها، وقد حُقَّ للعبد أن يحزن لنزول بلاء به، لكن الواجب أن يتذكر أنه مملوك لله يصرِّف فيه من تقديره ما يشاء، وأن ردة فعل العبد عند المصيبة - مهما تكن - فإنها ستكون محتسبة عليه في ميزان عمله، فهو - لا بد - راجع إلى مولاه، وسيعلم عند لقائه أن جميع ما قُدِّر عليه إنما كان خيرًا له؛ وليتأمل العبد، ما الذي يجنيه من الجَزَع والهلع واليأس

وانقطاع الرجاء في الخير، والانحراف عن جادة الاستقامة، والجنوح إلى ترك اليقين، أوليست تلك مصائب في الدين تفوق بمرات مصيبة نزول البلاء؟! ثم ليتأمل بعدها: ما الذي يجنيه من استحضار السكينة والطمأنينة إلى حُسْنِ التقدير؟ وما ثمرة تخلُّقه بحُسْنِ التوكل على العليم الخبير؟ وماذا يكسب من طلبه الخير من ربِّه القدير، ومن التسليم لما قضاه وقدَّره، ومن اعتقاده أن ذلك أحسن التقدير؟ أوليس ذلك خير معين له على تجاوز محنته، وتوثيق إيمانه بربه، وظهيرًا له على حسن استقامته؟ أوليس

الإيمان وتمام الهداية، ورباطة الجأش، وحسن العاقبة، من عظيم نِعم الله على العبد، وهي ترفع درجته في الدارين؟ فأيهما تطلب: مزيد التسليم، وطلب حسن الجزاء الذي يخفف عنك شدة المحنة، وقد يُنْسِيكها؟ أم الجزع المستمر، وألم المصيبة المتواصل مع سوء العاقبة؟ عياذًا بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾ [المعارج: ١٩-٢٠]. وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٥٥-١٥٧].

أنت لِلّه، أوجدك وأنعم عليك واختبر صبرك بابتلائه لك، وأنت - يقينًا - راجع إليه يحاسبك، فهل تريد خسارة في الآخرة كما خسرت في الدنيا، أم تريد ربحًا في الدارين؟

هذا، وإن ثمة أسبابًا تعين العبد على الصبر على قضاء الله وقدره، وتخفف عنه من وقع البلاء(٣٣):

١- أن يستحضر المرء ضرورة نزول

الفناء، وانتهاء المسار، وأن للأنفس آجالًا منصرمة، ومددًا منقطعة.

٢- أن يتصور العبد أن للشدائد أوقاتًا، وأن للهموم آمادًا، فلا بد للشدائد من الانجلاء، وللهموم من الانكشاف.

٣- أن يعلم أن ثمة بلايا أعظم بمرات من بَلِيَّته التي نزلت به.

٤- أن ينظر إلى حال من نزلت به مصيبة أعظم مما يعاني هو منه، فمن رأى مصيبة غيره هانت عليه مصيبته.

٥- أن يعلم أن طوارق الإنسان ومصائبه، إذا صبر عليها، كانت من دلائل

فضله، ورفعة مقامه عند ربِّه. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾

[البَقَرَة: ١٥٧].

٦- أن يصاحب - حين بلائه - أهلَ الفضل والطاعة، ومن يذكِّره - بحاله ومقاله - بربِّه سبحانه.

٧- أن يكتسب من بلائه حنكة وقوة وصلابة، تعينه على أن يَصْلُبَ عودُه، ويستقيمَ حاله، فلا يغتر برخاء بعدها، ولا يطمع في استقرار حال.

٦- خُلق "الحِلْم".

الحِلْم هو: الأناة والتثبُّت في الأمر، وما يلزم عن ذلك من ضبط للنفس عن الغضب، وكظم للغيظ، وعفو عن السيئة(٣٤).

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشّورىٰ: ٤٣].

وقال عليه الصلاة والسلام - لأشجِّ عبدالقيس رضي الله عنه -: «إن فيك خَصْلَتَين

يحبُّهما الله: الحِلْمُ والأناة»[٣٥].

• تطبيق الحلم من خلال سيرة النبيّ ﷺ.

هذا الخلق الكريم، إنما هو وجه عملي من وجوه الصبر، بل هو من أعظم ما يتخلَّق به الصابر؛ وبخاصة إن كان طبعه يميل إلى سرعة الغضب، أو إلى التسرع في الحكم على الأمور، وهو خُلق يحتاج إلى كسبٍ ومجاهدة نفسٍ في كل حال؛ فإن المرء الذي جُبل على شيء من الحلم، لا بد له من إرادة جازمة إلى التصرف بما يمليه عليه حلمُه، أما إن كان المرء غضوبًا متسرعًا

فهو محتاج إلى مزيد مجاهدة لكسب هذا الخلق؛ وهو قد يجد صعوبة بالغة في ذلك، لكن تحصيله ممكن بمراس طويل وتجربة أمور، حتى يقع في قلبه، ويتيقن بأن الأناة والرفق في معالجة كلِّ أمرٍ هي الأجدى في كلِّ حال، فيعمد بعدها إلى ذلك.

هذا، وقد أعطانا الرسول ﷺ - بسيرته العَطِرة - دروسًا عملية وقولية في خُلق الحلم؛ فهو الذي صبر على عظيم أذى قومه، ولم يَدْعُ عليهم، بل دعا لهم، رجاء إصلاحهم.

ومن الأمثلة العملية لمزيد حِلْم النبيِّ ﷺ: مشيُه ﷺ ما يزيد عن مائة كيلومتر، إلى أهل الطائف راغبًا بالخير لهم، ثم هم يؤذونه، ويردُّون عليه دعوته؛ فيأتيه ملك الجبال ويستأذنه أن يأمره بما شاء فيهم، حتى لو شاء لأطبق عليهم الجبلين العظيمين؛ فقال سيِّدُ الحلماء ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»(٣٦).

ومن الأمثلة العملية أيضًا - والسيرة تحفل بكثير منها -: «أن أعرابيًّا بال في المسجد، فقاموا إليه، فقال

رسول الله ﷺ: «دعوه، لا تُزْرِمُوه!»[٣٧]، ثم دعا بدلوٍ من ماءٍ فصُبَّ عليه[٣٨].

ثم إن رسول الله ﷺ دعا الأعرابيَّ وعلَّمه قائلًا: «إن هذه المساجدَ لا تَصْلُحُ لشيء من هذا البول ولا القَذِر، إنما هي لذكر الله عزَّ وجلَّ، والصلاة، وقراءة القرآن»[٣٩]، فانظر كيف حجز رسولُ الله ﷺ أصحابه عن أعرابيٍّ يبول، حتى فرغ من تبوُّله! ثم انظر كيف عَمَد ﷺ إلى تعليم ذلك الأعرابي آداب المسجد وهو على هذه الحال!! فأيُّ حِلمٍ بعد هذا؟!

- **خطوات عملية لتعلُّم خلق الحِلْم، وتطبيقه:**

- انظر بإيجابية تجاه تصرفات الآخرين؛ فمن رفعَ الصوتَ في مناقشتك كان في نظرك متحمِّسًا لتقرير فكرته لا مستخفًّا بمقامك، ومن نافسك في أحقية المرور كان مستعجلًا معذورًا لا متعمدًا لإيذائك، ومن انقضَّ عليك في زيارة دون تواعد مسبق، كان محبًا للقائك، لا متعمدًا لإزعاجك، وهكذا.
- لا تُشعر الآخرين بتكرار غضبك في أمور صغيرة، وتجاوز ذلك ما أمكن.

- إذا اغتظت من إساءة بالغة، فلا تبادر بالعقوبة عليها، وإن كنت قادرًا على ذلك. قال عليه الصلاة والسلام: «من كظم غيظًا وهو قادر على أن يُنْفِذَه، دعاه الله على رؤوس الخلائق، حتى يخيِّرَه من الحور العين ما شاء»(٤٠).
- اجتهد في أن تحصر غضبك فيما إذا انتُهِكَتْ حُرُمات الشرع وحسب، فتكون مأجورًا جزاء غضبك!
- لا تستعجل إنجاز عملٍ تقوم به؛ فإن كنت دارسًا فتمهَّل لتستكمل تمام المعلومة، وإن كنت عاملًا فتمهَّل لتتقن عملك.

- احبس اللسان عن مبادلة الإساءة بمثلها، ما استطعت إلى ذلك سبيلًا.
- إذا استشعرت من رجل حِلْمًا، فبادر إلى مخالطته، والتشبُّه به.
- طالع أخبار أهل الحِلْم من لدن سيرة النبيِّ ﷺ، وقصص النبيِّين عليهم السلام، وسائر من اشتهر بحلمه من الصالحين.

٧- خُلق "الرحمة".

الرحمة: رقة في القلب يلامسها الألم حينما تُدْرِك الحواسُّ أو يتصوَّر الفكرُ وجودَ الألم عند شخص آخر، أو

يلامسها السرور حينما تدرك الحواسُّ أو يتصوَّر الفكر وجود المسرَّة عند شخص آخر(٤١).

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «جعل الله الرحمةَ مائة جزءٍ، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق»(٤٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «الراحمون

يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يَرْحَمْكم من في السماء»[٤٣].

- **خطوات عملية لتطبيق خُلق الرحمة.**

- رحمة الوالدين بولدهما؛ محبة به، وإشفاقًا عليه.
- بِرُّ الولد بوالديه؛ تواضعًا لهما، وتكريمًا لمقامهما.
- مزيد إحسان الوالدين إلى صغار الأولاد: ومن ذلك تقبيل الصغير؛ فقد أبصر الأقرعُ بن حابس رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُ الحسن، فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلت واحدًا

منهم! فقال رسول الله ﷺ: «إنه من لا يَرحم لا يُرحم»(٤٤).

- الإحسان إلى البنات؛ قال ﷺ: «من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كُنَّ له سترًا من النار»(٤٥).

- السعي على الضعفاء، ومنهم: الأرملة والمسكين واليتيم، قال النبيُّ ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، وكالقائم لا يَفْتُرُ، وكالصائم لا يُفْطِر»(٤٦). وقال عليه الصلاة والسلام: «أنا وكافل اليتيم في الجنة

هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى، وفرَّج بينهما شيئًا(٤٧).

- الرحمة بالنساء(٤٨)؛ ولا يقتصر ذلك - مع أهميته - على وجوب إكرامهن، والتأكيد على حسن المعاملة لهن، والتلطُّف في عشرتهن، لكن الأمر أوسع؛ فإن الرحمة بهن تكون فيما مُنح لهن - تكرمةً - في شريعة الله من حقوق؛ فقد أوجبت الشريعة الرحمةَ بالنساء بما يتناسب مع أصل خِلْقتهن الإنسانية، التي تتسم بالإحساس الرقيق، وبما يتناسب مع عظم الدور

الموكل إليهن في المجال الأسري في الحمل والوضع والتربية، وقل مثل ذلك في ظهور الرحمة في سائر التشريعات المتعلقة بالمرأة في حقها بالتملك، والإرث بما يتناسب مع واجباتها في الإنفاق، وفي حقها في التعليم، كل ذلك رحمة بها وعطاءً إلٰهيًا لها.

- الرحمة بالحيوان! وهو أبلغ من دعوى الرفق به.

قال رسول الله ﷺ: «عُذِّبَتِ امرأة في هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حتى ماتت، فدخلت فيها النار؛ لا هي أطعمتها وسقتها،

إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاس الأرض»[٤٩].

وقد «لعن رسولُ الله ﷺ من اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا»[٥٠]، وهو ما يسمونه اليوم - زورًا - برياضة الرماية، فيتنافس أهلها بالرمي على حيوان - طائر أو غيره - لا ليأكلوه، أو لينتفعوا به، بل لإظهار مهارتهم في إسقاط أكبر عدد من قتلى الطيور وحَسْب! وقد يتخذ البعض حيوانًا محبوسًا في بقعة محددة يتنافس الرماة في إصابته مرة بعد مرة حتى يهلك، أو يجعلون

طائرَيْنِ من ذوي الشكيمة في التقاتل - كالدِّيكة مثلاً - محبوسَيْن يتراهن القوم فيمن يهلك منهما أولاً !!

هذا، وقد بلغ الإسلام في الحث على الرحمة بالحيوان الغاية؛ إذ نهى عن ذبحها بسنٍّ أو عظم أو ظفر، بل أكَّد على إراحتها من المعاناة حال ذبحها، بإحداد الشفرة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبْحة، وَلْيُحِدَّ أحدُكم شفرتَه، ولْيُرِح ذبيحته»(٥١).

٨- خُلق "الرِّفْق".

الرِّفْق: ظاهرة خُلقية يضادُّها العنف، وهو من ظواهر خُلق الصبر، أو من ظواهر خُلق الرحمة، أو من ظواهرهما معًا؛ حيث إن الرفق في الأمور، والرفق في معاملة الناس، لا يكون إلا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل حب العنف والقسوة، وهذا وجه من وجوه الصبر، كذلك فإن من يشعر نحو غيره بشعور الرحمة يكون في معاملته رفيقًا لا عنيفًا، إذ يدفعه إلى الرفق به رحمته(٥٢).

• خطوات عملية لتطبيق خلق الرِّفْق.

إن هذا الخُلق الكريم يشمل ما نسميه

اليوم بالذوق والتلطُّف والاحترام؛ فإن الاجتهاد في اختيار الأكمل عند التصرف يؤدي دومًا إلى النتيجة الأفضل، بخلاف اعتماد أسلوب العنف الذي يَحْرُم دومًا صاحبه من قطف ثمار العمل المرجوة.

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصّلَت: ٣٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»(٥٣).

وهاك بعض الخطوات التي يتحقق بها العمل بهذا الخلق:

- رفق المسلم بنفسه في طريقة طلب العلم؛ باختياره الأهم فالأهم أولًا، ثم التدرُّج في تعلُّم كلِّ علم بتجزئته مسائل، بدءًا باليسير منها، توصُّلًا إلى ما يصعب على المبتدئ في هذا العلم.
- رفق المسلم بنفسه في التدرُّج في تأدية العبادات، وذلك بالترتيب في تأديتها بحسب الأهمية، مبتدئًا بما افترضه الله عليه، ومن ثم بما استطاعه من النوافل، مع توزيع تلك النوافل ما أمكنه ذلك؛ كتجزئة قَدْر

التلاوة مثلًا على أوقات الصلوات، أو التزام اليسير من قيام الليل، وتعاهد صلاة الضحى مرة بعد مرة، ما يتيح له القيام بقَدْر مقبول من النوافل في أيسر سبيل.

- رفق المسلم بمن حوله؛ من والد وولد، وزوجة، وقرابة، وجار، وصاحب، وزميل عمل، وبكل من يُجري معه نوع معاملة؛ وذلك بالتلطُّف - ما أمكن - في جميع معاملته لهم.
- رفق الداعية والمعلم؛ بدوام التبسُّط للمدعوِّ، وللمتعلِّم؛ فالدعوة لن تؤتي

أُكُلَها إلا بالترفُّق في إيصالها، والعلم لن يصل المتعلِّمَ إلا بالترفُّق في تعليمه.

- رفق أهل الحِسْبة، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، بالإشفاق على أهل المعاصي، ورجاء الخير لهم ابتداءً، ومن ثَمَّ بتعليمهم الضروري من أمور دينهم، مع تقويم سلوكهم بالحسنى؛ إلا من أبى منهم، أو تعدى ضرُّه إلى غيره، فيؤخذ على يده عندئذ بما يستحقه.
- رفق الحكام بالرعية؛ بالحرص على نفعهم، ودرء الضرر عنهم، والسماع

لنصيحة ذوي الرأي منهم، وعدم المبادرة إلى تعنيف الناصح منهم، وكلُّ ذلك - في المحصِّلة - ليس خيرًا للرعية وحسب، بل هو خير للحاكم في الدارين.

وهكذا، فإن وجوه تطبيق الرفق، تكاد أمثلتها لا تنحصر، فهي تشمل كلَّ تصرُّفٍ ذي بال يقوم به المرء في حياته، وهي السبيل الأقرب لتملُّك القلوب بالمحبة، وإيتاء الأعمال ثمارها.

٩- خُلق "التواضع".

التواضع خلاف الكِبْر، وهو: الاستسلام للحق، وقبوله ممن قاله(٥٤).

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القَصَص: ٨٣]. وقال عليه الصلاة والسلام: «ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»(٥٥).

• خطوات عملية لتطبيق خلق التواضع.

- السمع والطاعة لأولي الأمر في كلِّ ما فيه طاعة لله تعالى.
- الحرص على تقبُّل النُّصح، ولو أتى ممن هو في مرتبة أدنى، كتقبُّل الحاكم لنصح أهل المشورة من رعيته.

- نصح المعلم وإشفاقه على المتعلم، ومحبته الخير له.
- احترام المتعلِّم لمعلِّمه، ولو كان الأول يفوقه في مال أو جاه.
- البدء بالسلام، ولو كان البادئ كبيرًا، أو وجيهًا.
- المبادرة إلى الإذعان لرأي المخالف، إن كان مُحِقًّا.
- المبادرة بعد السلام: بالمصافحة والتبسُّم.
- المبادرة إلى وصل الرَّحِم، والاستمرار في ذلك، وإن كان القريب مستمرًا في القطيعة.

- كظم الغيظ، والعفو عن المسيء، ولو كان الكاظم قادرًا على إنفاذ ما يريد والاقتصاص ممن ظلمه.
- إعطاء أحقية المرور للغير عند ولوج باب، أو سلوك طريق ونحوه.
- إظهار حسن الاستماع للمتحدث، وإشعاره بأهمية ما يقول.
- حسن التأدب بآداب الاستئذان، والرجوع - ولو عن الباب - إن اعتذر صاحب الدار عن الاستقبال.
- تطييب خاطر الفقير حال الإنفاق عليه، وإشعاره بإكرامه.
- طيب الكلام مع الخدم، وترك

مساحة من الحرية لهم في تصرفهم في الخدمة، وإعانتهم في بعضها.

وهكذا، فإن وجوه التواضع عديدة لا يمكن حصرها، وهي لا تأتي إلا بخير، ولا تزيد المتواضع إلا رفعة، بخلاف الكِبْر فإنه سبيل كلِّ شر، ومانع عن كلِّ خير.

١٠- خُلق "الجُود والإيثار".

الجُود: كثرة العطاء والتكرُّم والبذل، وهو ضد البخل.

أما الإيثار؛ فهو أعلى مراتب الجود؛ فإن المؤثر على نفسه معطٍ غيره ما عنده، مع كونه بحاجة إليه، أما الجواد فهو من

يبذل شيئًا مما عنده، قلَّ بذله أو كثر[٥٦].

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وقال ﷺ في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: أَنْفِقْ يا ابن آدم يُنْفَقْ عليك»[٥٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما نقصت صدقةٌ من مال»[٥٨].

• خطوات عملية لتطبيق خُلق الجود والإيثار[٥٩].

- الجود بالتضحية بالنفس، وهو أعلى

مراتب الجود.

- الجود بالرياسة؛ حيث يمتهن الجواد رئاسته، ويجود بها، من أجل قضاء حاجات الناس.
- الجود براحة النفس لأجل الغير، والتعب في تحصيل مصلحة الآخرين.
- الجود بالعلم وبذله، وهو أفضل من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال.
- الجود بالنفع بالجاه؛ كأنْ يتوسَّط وجيهٌ إلى ذي سلطان ليقضيَ حاجةً لطالبٍ مستحق لها.

- الجود بنفع البدن على اختلاف أنواعه، كما قال ﷺ: «كلُّ سُلامىٰ من الناس عليه صدقة، كلَّ يوم تطلع فيه الشمس: يَعْدِلُ بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكلُّ خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»(٦٠).
- الجود بالعِرض أي: المسامحة لمن تنقَّص من قَدْر المرء فظلمه بشتم أو غيبة ونحوه، وذلك كما كان يفعل

الصحابيُّ أبو ضَمْضَم رضي الله عنه؛ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «أَيَعْجَزُ أحدكم أن يكون مثل أبي ضمضم؛ كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدَّقت بِعِرْضي على عبادك»(٦١).

- الجود بالصبر، واحتمال الأذى من الناس، وهذه مرتبة شريفة من مراتب الجود، وهي أنفع لصاحبها من الجود بالمال، وأعزُّ له، ولا يقدر عليها إلا النفوس الكبار.
- الجود بالخُلُق الطيب، والبِشْر والتبسُّط إلى الناس، وهو فوق الجود بالصبر واحتمال الأذى،

والعبد لا يَسَعُهُ أن يَسَعَ الناس بجوده بماله، مهما بلغ بذلُه لهم، لكنه يسعهم بحُسن خُلقه وسعة احتماله.

- الجود بترك ما في أيدي الناس، وعدم الاستشراف له بقلبه، أو التعرُّض له بحاله، أو لسانه.

وهكذا، فإن وجوه الجود تتعدد ولا تقتصر على العطايا المادية، كما يتوهمه كثير من الناس، بل إن عطية المال لا تكون مقبولةً إلا بطيب نفس الجواد بها، وبطيب كسبه لها، وبصرفها في وجوه الخير، وتنزيهها عن الرياء!!

١١- الوفاء.

الوفاء: أداء الشيء وافيًا كاملًا ماديًا أو معنويًا، وهو - بالخصوص -: الوفاء بكل ما التزم به المسلم، أوألزمه الله به؛ فكل عهد قطعه المسلم على نفسه، وكل عقد عقده مع الآخرين وجب عليه الوفاء به ما لم يكن إثمًا(٦٢).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المَائدة: ١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠﴾ [الرّعد: ١٩-٢٠].

وقال النبيُّ ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يُرفع لكل غادر لواءً، فقيل: هذه غَدْرة فلان ابن فلان»(٦٣).

● **خطوات عملية لتطبيق خلق الوفاء:**

- احترام المواعيد التي تعطيها للآخرين، ولا يكونن موعدك على التراخي! تقول مثلاً: آتيك بعد صلاة العشاء، فتأتي بعد انتصاف الليل!
- احترام المتبايعين موعد تسليم البضاعة، أو توفية الثمن دون تسويف، أو إنكار حق! «فقد انتظر

رسولُ الله ﷺ - قبل البعثة - عبدَالله ابن أبي الحمساء ثلاث ليال بناء على موعدة وعدها إياه: أن يأتي له حالًا ببقيةَ بقيت للنبيِّ ﷺ في ذمة عبدالله، فنسي، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا فتى، لقد شققتَ عليَّ، أنا هٰهنا منذ ثلاث أنتظرك»![٦٤].

- الحرص على تأدية الديون في أجلها المسمى؛ أي: في موعد السداد، دون تسويف، وبخاصة في حال القدرة على التوفية.
- تأدية التزامات الحياة الزوجية؛ من

مبيت ونفقة وسكنى وملبس ومأكل، وتوفية المهر بتمامه.

- احترام عقود المعاوضات المالية: من بيع، وإجارة، وشركة، وغيرها، وأداءُ كاملِ ما اشتُرط فيها. «المسلمون عند شروطهم»(٦٥).

- أداء حق البيعة للحاكم المسلم، من سمع وطاعة في المعروف.

- إنفاذ المسلمِ ما رضي به من شروط إقامته في غير بلده؛ وإن كان بلدًا لغير المسلمين؛ ففي الغرب مثلًا: لا يكذب المسلم، ولا يخون، ولا يغدر، ولا يغش، ولا يسرق، وهو

يتبع القوانين المعمول بها في تلك البلاد، فيما لا معصية فيه.

وختامًا؛ قد يحسن إيجاز جوامع أخلاق المسلم كالآتي:

المسلم الحقُّ: حَيِيٌّ، صادق، أمين، عادل، صابر، حليم، رحيم، رفيق، جواد، وفيٌّ بعهده، منجز لوعده، ولا يتحقق له ذلك إلا إذا استصحب ثلاثة أمور:

إخلاصًا في قصده: فهو يتمثل الأخلاق طلبًا لرضى ربه، والتزامًا بدينه.

وهمة في نفسه: فهو يستصغر ما دون النهاية من الالتزام بمعالي الاخلاق.

واعتدالاً في منهجه: فهو يتوسَّط في السلوك الأخلاقي ويضبطه؛ فلا يغالي فيه فيخرج عنه، أو يُضعفه حتى يَفْقِدَه.



الفصل الثالث

الأدب في التعامل

وفيه ثلاثة مباحث :

الأول: الأدب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ.

الثاني: الأدب مع النفس.

الثالث: الأدب مع الخلق.

أولًا: الأدب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ.

وفيه مطلبان:

١- الأدب مع الله تعالى.

٢- الأدب مع رسول الله ﷺ.

١- الأدب مع الله تعالى.

«الأدب مع الله ثلاثة أنواع:

أحدها: صيانة المعاملة أن يشوبها بنقيصة.

الثاني: صيانة القلب أن يلتفت إلى غيره.

الثالث: صيانة الإرادة أن تتعلق بما يمقتك عليه»[٦٦].

إن تأمُّلًا يسيرًا بهذه الأنواع يرشد إلى أن الإخلاص في الظاهر والباطن هو حقيقة الأدب مع الله تعالى.

• فمن الأدب مع الله: الإخلاص في شكره تعالى باللسان والقلب وتسخير الجوارح في طاعته سبحانه.

• ومن الأدب مع الله: تعظيم الإنسان معاني أسماء الربِّ وصفاته في قلبه، فإذا استحضر صفة العلم - مثلاً - وأن الله تعالى عليم بالسر وأخفى، امتلأ القلب

مهابة، والنفس خوفًا، فيخجل المرء عندها من الاجتراء على المعصية، أو استمراء فعلها؛ إذ ليس من الأدب في شيءٍ أن يعصي العبد ربَّه، وهو يعلم أنه مطَّلع على سريرته بصيرٌ بعمله، ويعلم أن سيِّدَه ينظر إليه، وهو - مع ذلك - يجاهر بمعصيته.

وقل مثل ذلك عند التأمل بمعاني سائر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى.

● ومن الأدب مع الله تعالى: تعظيم كلامه، والتأدب بآداب حَمَلة كتابه، وتوقيرهم.

ولنذكر - اختصارًا - طائفة من الآداب المتعلقة بالقرآن(٦٧):

- حرمة مسِّ المصحف على المُحْدِثِ وحَمْلِه.
- قراءته حال الطهارة، مستاكًا، مستقبلاً القبلة، جالسًا في مكان طاهر، وفي هيئة أدب ووقار.
- تلاوته ترتيلًا، بتجويد الأداء، وتحسين الصوت قدر الاستطاعة.
- تلاوته بخشوع، وتدبُّر.
- حسن الاستماع والإنصات إذا قرئ القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ

ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

• ومن الأدب مع الله تعالى: تعظيم شعائره؛ وأعلام دينه ومتَعبَّداته؛ ومن ذلك تعظيم مشاعر الحج(٦٨)؛ كالطواف بالكعبة، والسعي بين الصفا والمروة؛ ومن ذلك: ما يهدى إلى بيت الله الحرام، فيُذبح امتثالاً لأمره جلَّ شأنه، وشكرًا على إنعامه بتلك الأنعام وتسخيرها لعباده؛ كل ذلك من التأدب مع الله بتعظيم كلِّ ما يتعلق بدينه.

• ومن الأدب مع الله تعالى: الحرص

على التفقُّه في دينه، من أجل حسن تطبيق أوامر شرعه.

وخلاصة القول أنه: «لا يستقيم لأحد قطُّ الأدبُ مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفتُه بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحبُّ وما يكره. كلُّ ذلك بوجود نفسٍ مستعدَّة قابلة ليِّنة، متهيئةٍ لقبول الحق علمًا وعملاً وحالًا. والله المستعان»[(٦٩)].

٢- الأدب مع رسول الله ﷺ.

لقد استقرَّ في نفس كلِّ مسلم محبةُ التأدُّب مع رسول الله ﷺ؛ وذلك تقرُّبًا إلى الله الذي اصطفاه من بين خلقه لحمل رسالة خاتمة إلى الناس كافة،

وتعظيمًا للقرآن الكريم الذي أنزله الله على قلبه، وتوقيرًا لذاته الشريفة ﷺ؛ لكن كيف يكون هذا التأدُّب مع النبيِّ ﷺ واقعًا؟ وكيف تكون ممارسته عمليًّا في حقِّ كلِّ مسلم؟

لعلَّ ذلك يكون في أمور منها:

- تقديم محبة الرسول ﷺ على محبة أيِّ مخلوق؛ قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين»[(٧٠)].
- تقديم توقيره واحترامه على توقير أيِّ مخلوق، مهما بلغ من الرفعة علمًا وعملاً، أو جاهًا وسلطانًا. قال

تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفَتْح: ٨-٩]. قال ابن عباس، وغيرُ واحدٍ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾، أي: تعظِّموه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ من التوقير، وهو: الاحترام والإجلال والإعظام. ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾، أي: تسبِّحون الله تعالى(٧١).

- تقديم طاعته ﷺ على طاعة من سواه من الخلق؛ حيث إن طاعته طاعةٌ لله تعالى؛ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّسَاء: ٨٠].

- «كمال التسليم له ﷺ، وتمام الانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق؛ فلا يُحاكِم المؤمن إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عَرضه على قولِ أحدٍ؛ فلو رضي بحكم غيره، أو بردِّ أمره متأوِّلاً أو محمِّلًا أو محرِّفًا، فلَأن يلقى العبدُ ربَّه بكل ذنب على الإطلاق - ما خلا الشرك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال»[٧٢].
- تحرِّي الاقتداء به ﷺ، وحسن

التأسِّي باخلاقه العظيمة وصفاته الكريمة.

- العمل على إحياء سُنَّته ﷺ، وإظهار شريعته، وتبليغ دعوته، وعدم استبدال ذلك بنُظُم وضعيَّةٍ، جرَّبها أقوام، فما جرَّت عليهم إلا خرابًا.
- «ومن الأدب مع الرسول ﷺ: أن لا يتقدَّم بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرُّف، حتى يأمرَ هو، وينهى ويأذن، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾ [الحجرات: ١]، وهذا باقٍ إلى يوم القيامة ولم يُنْسَخ؛ فالتقدُّم

بين يدي سُنَّتِه بعد وفاته، كالتقدُّم بين يديه في حياته، ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم؛ فإن كان رفع الصوت فوق صوته سببًا لحبوط الأعمال، فما الظنُّ برفع الآراء ونتائج الأفكار على سُنَّته وما جاء به؟! أترى ذلك مُوجِبًا لقبول الأعمال، ورفع الصوت فوق صوته مُوجِب لحبوطها؟!»(٧٣).

- إذا ذكرتَ رسولَ الله ﷺ في كلامك، فاحرص على أمرين: أن تذكر صفة النبوَّة أو الرِّسالة، وأن تُتْبع ذلك بالصلاة والسلام عليه؛ فلا

تقل مثلًا: قال محمَّد، أو غزا محمَّد، أو دَمِعت عينا محمَّد، ونحو ذلك. وذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النُّور: ٦٣].

- الإكثار من الصلاة والسلام عليه، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزَاب: ٥٦]. وبخاصة في نهار الجمعة، وليلتها لقوله ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِق آدمُ، وفيه قُبِض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة

فيه، فإن صلاتكم معروضة عليَّ»[٧٤].

هذه جملة من الأدب مع رسول الله ﷺ، لكن الواجب في حقه عليه الصلاة والسلام أعظم مما ذكر آنفًا أضعافًا مضاعفة، فاجتهد في معرفته[٧٥]، والعملِ به، والله المستعان.

ثانيًا: الأدب مع النفس

وفيه مطلبان:

١- تزكية النفس.

٢- أدب خاص بالمؤمن.

١- تزكية النفس:

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشّمس: ٧-١٠].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦].

وقال تبارك اسمه: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فَاطِر: ١٨].

لا شك بأن التفقُّه في تزكية النفس علم عظيم، قد دُوِّنَتْ فيه مجلدات، وذخر به ميراثنا العلمي(٧٦)، لكن معظم المسلمين بقي كثير منهم يرجو الوصول إلى هذا المقام في تزكية النفس، دون أن يخطَّ لنفسه منهاجًا محدَّدًا واضحًا للوصول إلى تحقيق ذلك.

والقصد هنا بيان منهاج مختصر يسير

يسلكه المسلم في تزكية نفسه؛ ولعل السبيل إلى ذلك: العملُ على تأديب النفس، بخطوات أربع:

١- الاجتهاد في معرفة طبيعة النفس الإنسانية.

٢- اتخاذ قرار يحدِّد به المؤمن مسار هذه النفس.

٣- مراقبة التزام النفس بهذا المسار.

٤- محاسبة هذه النفس تبعًا لمدى التزامها.

الخطوة الأولى: يعمل المؤمن على الاطلاع - ما وسعه ذلك - على النصوص الشرعية، التي تبين حقيقة

النفس، وأبرز معالمها، ليبدأ التعامل معها على بصيرة، ما يؤدي إلى تزكيتها، وأذكر أمثلة لذلك من القرآن الكريم:

- النفس تأمر غالبًا بالسوء ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓۚ﴾ [يُوسُف: ٥٣].
- النفس لها قدرة تحمُّلٍ محددة لا تتعداها ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: ٢٣٣].
- النفس هي التي تحرِّك الجوارح لكسب أعمال الخير، أو اكتساب أعمال الشر ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٢٥].

- النفس هي التي تستقبل الهدى من الله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السَّجدَة: ١٣].
- النفس تحاسب صاحبها يوم القيامة ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسرَاء: ١٤].
- النفس تحب أن تتفلّت دومًا من الالتزام والمثابرة على أمر بعينه ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].
- النفس فيها ميزان دقيق، ومنبِّهٌ لا يخطئ؛ يدل صاحبها على خيرية ما

يفعله أو على خلاف ذلك، حتى لو حاول التعذر لفعله وإيهام نفسه بما يخالف حقيقة فعله ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾

[القِيَامَة: ١٤-١٥].

- النفس تسوِّل للإنسان فعل الشر، وتخدعه بأنها إنما تفعل ذلك ليسعد به حالًا، ويكسب فيه خيرًا عاجلًا، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾

[يُوسُف: ١٨].

الخطوة الثانية: اتخاذ قرار يحدِّد فيه مسار النفس.

إذا تفقَّه المؤمن فعرف حقيقة نفسه، يَسُر عليه معرفة طرقها ومداخلها، ومكَّنه

ذلك من التعامل معها بما يناسب، فينتقل بعدها: إلى إلزامها بما يناسبه من تصرفاتها، وهو ما اصطُلِح على تسميته "بالمشارطة"؛ فكما أن مطلب المتعاملين في التجارات المشتركين في البضائع عند المحاسبة: سلامةُ الربح، وكما أن التاجر يستعين بشريكه، فيسلم إليه المال حتى يَتَّجِرَ، ثم يحاسبه، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة، وإنما مطلبه وربحه: تزكية النفس(٧٧).

الخطوة الثالثة: مراقبة التزام النفس بتنفيذ هذا القرار.

تـمَّ الآن إعـلام الـنـفـس بـالـمـسـار المفترض لها، فهل تراها تلتزم دومًا، أو حتى غالبًا، بهذا المسار؟ الواقع يدل قطعًا على أنها شريك خائن، إذ لا يلبث صاحبها أن يغفل عنها طرفة عين حتى تخالف ما شَرَطَه عليها! فلا بد إذًا من مراقبتها بشكل مستمر ودقيق.

هذا النظر في المراقبة يكون بإلزام النفس القيامَ بالعمل على الوجه المشروع، بدءًا بالإخلاص في تنفيذه، ثم بالتحري لأمرين: موافقة الشرع في كيفيته، واستفراغ الجهد في إتقانه؛ فتعتاد النفس - مرة بعد مرة - على هذا

النمط من القيام بالأعمال.

الخطوة الرابعة: المحاسبة؛ إذا عرف المرء طبيعة نفسه، فشارطها السيرَ بحسب إرادته، وراقبها فوجد منها تفلُّتًا، باشر عندئذ بمحاسبتها بطرق، منها(٧٨):

- إبدالها بخير مما أقدمت عليه؛ فإن استهوت سماع موسيقىٰ مثلاً، أشغلها بحسن التلاوة، وإن تشوَّفت إلى رؤية جمالٍ يَحْرُمُ النظر إليه، وجَّهها إلى التمتع بجمال الحلال، وإذا تكلَّم لسانه بمحرَّم؛ كغيبةٍ مثلاً

أشغله حالاً - في المجلس نفسه إن أمكن - بالتكلُّم بخير عمن اغتابه، ثم بالاستغفار لأخيه ولنفسه، وهكذا فإنه يشغل كلَّ عضو بخلاف ما خالف فيه، حتى تعتاد النفس ألّا تستهين بفعلِ محرَّم.

- ومن طرق محاسبة النفس إنْ هي أحسنت: إلزامُها بتقديم الشكر لله، بالتصدُّق مثلاً، أو السجود، كي تعتاد ألَّا تعتدَّ بقدراتها الذاتية.

- ومن ذلك أيضًا: معاقبتها عند تقصيرها؛ ولو كان هذا التقصير يسيرًا، فإن فات المؤمن خيراً، ألزم

نفسه بعمل خير مثله أو أكثر، فإن فاتته صلاة العشاء مثلاً - في جماعة - صلّى قائمًا من الليل، وإن طَعِم لقمة حرامًا، ألزم نفسه بالتصدُّق، أو بصيام يوم تطوعًا، وهكذا.

- ومن ذلك أن يبدأ بمعاتبتها إذا تلمَّس منها ميلًا إلى التقصير في حفظ الآداب، ثم يشتدُّ لومه لها إذا خالفت في حفظ السنن، ثم إذا هي تعدَّت إلى الميل لترك الفرائض أو قصَّرت في أدائها شرع في معاقبتها.

فإن أَلْفَيْت نفسك - بعد هذه المحاسبة -

عصيَّة نزَّاعة إلى الهوى، فعلاجها إنما يكون بأمرين؛ **أولهما**: كثرة النظر في سيرة النبيِّ ﷺ، وسلوك السلف الصالح الذين اقتدَوا بهديه، ومطالعة سِيَر سائر الصالحين في هذه الأمة - وبخاصة أهل العلم منهم - ومعرفة طرق مجاهداتهم لأنفسهم، **والآخر**: الحرص على مصاحبة الأخيار المجتهدين في العبادة؛ فإن النفس لا بد أن تتأثر بمن تصاحب، بطريق القدوة.

٢- أدب خاص بالمؤمن؛ ويتضمن:

أ- الأدب في شؤون العبادة.

ب- الأدب في أحوال خاصة.

أ- الأدب في شؤون العبادة؛ ومنها(٧٩):

- **أدبٌ في الصلاة:** التطهُّر التامُّ لها، ستر العورة، استقبال القبلة، الأذان، الإقامة، الإحرام بالنية مقارنًا بالتكبير، الوقوف بتأدُّب بوضع اليمنى على اليسرى، النظر قِبَلَ وجهِه؛ فلا يلتفت ولا يرفع بصره، حتى لو كان ناظرًا إلى الكعبة أمامه، الاستفتاح للصلاة بدعاء

التوجُّه قبل التلاوة، الاطمئنان - السكون والخشوع - في كل ركن فيها، التكبير عند الانتقال بين الأركان كلِّها إلا عند الرفع من الركوع فبالتسميع بالحمد، التسبيح في الركوع والسجود، الجلسة بأدب بافتراشٍ في التشهُّد الأول وتورُّكٍ في الأخير، تقديم التحيات والصلاة الإبراهيمية بين يدي الدعاء آخر الصلاة، عدم التحلُّل من الصلاة - أي: الخروج منها - إلا بتسليم، ثم الاستغفار بعد الصلاة، والأذكار المشروعة بعدها.

أرأيت جامع الأدب كيف ينتظم

الصلاة جميعَها، وكأن امتثال الأدب هو الغاية من تشريعها؟!

• **أدب في الزكاة**؛ ومن ذلك: إعطاؤها سرًا، وإعطاؤها مصاحَبَةً بكلمة طيبة - نحو: يسَّر الله لك، أو رزقك الله من فضله -، وإعطاؤها من أوسط المال، فإن تطوَّع المتصدّق فأعطى من أحسن ماله كان أجره أعظم، والدعاء للمتصدِّق، وكذلك للدائن: «جزاك الله خيرًا»،(٨٠) «بارك الله في أهلك ومالك، إنما جزاء السلف - أي: القرض - الحمدُ والأداء»(٨١).

● **أدبٌ في الصيام**؛ ومن ذلك: استحباب الاغتسال من الجنابة قبل الفجر، واستحباب التصدق أثناء نهار الصوم، وكذلك الاشتغال بالعلم وسائر القربات، الحرص على كفِّ الجوارح عن المحرّمات، وبخاصة الغيبة والنميمة، الحرص على تفطير الصائمين، وبخاصة الفقراء منهم، استئذان المرأة زوجها بصيام غير رمضان، الدعاء لمن أفطر عندهم بقوله: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامَكم الأبرار، وصلَّت عليكم الملائكة»[(٨٢)].

• **أدبٌ في الحجِّ**؛ ومن ذلك: آداب السفر[٨٣]، ومنها: دعاء الركوب، والتكبير عند الصعود، والتسبيح عند الانحدار، وقول الأدعية المأثورة إذا وافق وقت السَّحَر في سفره، أو نزل منزلاً ليبيت فيه، أو دخل بلدة أو قرية، والتلبية، والأذكار عند الطواف، والدعاء عند المقام، وعند الصفا، والإكثار من الدعاء في يوم عرفة، والتكبير والإكثار من ذكر الله في منى، والدعاء عند النحر، وعند الإياب من السفر، وتعجيل الرجوع إلى الأهل، وإطعام الطعام وطيب الكلام في أثناء تأدية المناسك،

وترك الرَّفَث - النكاح ومقدماته - وتجنُّب الفسوق في الفعل أو القول، وترك الجدال المُفْضي إلى الخلاف، والحرص على التعاون التام مع إخوانه الحجّاج، وعدم التسبُّب لهم بأدنى أذى.

فإن استجمع المسلم العمل بهذه الآداب كان حاجًّا بحق، وإن تجاوزها أسقط عنه الفريضة، وكثّر سواد الحجاج وجموعهم، لكن أجره - بلا شك - هو أدنى ممن عمل بذلك جميعه، أو ببعضه.

● **وفي الجهاد أدبٌ!** وحسبنا في ذلك ما أرشد إليه رسول الله ﷺ؛ فقد كان ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سَرِيَّة،

أوصاه - في خاصَّته - بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كَفَر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا[٨٤] ولا تغدروا[٨٥]، ولا تُمَثّلوا[٨٦]، ولا تقتلوا وليدًا»[٨٧].

فانظر إلى رحمة الإسلام - حتى في الغزو - بالضعفة المسالمين من أعدائه، ثم اعجبْ بعدها لمن يستحلُّ - في عصرنا - إراقة دماء العشرات بل المئات من أبرياء المسلمين المسالمين، وقد مكثوا في بيوتهم، أو خرجوا منها ساعين على عيالهم، لكنهم اتَّسموا في بعض

فعالهم بأثارةٍ مِن فسقٍ، أو جاوروا في سُكْناهم أهل ذمة مستأمنين في ديار المسلمين!!

ب- الأدب في أحوال خاصة:

- **الاستخارة** إذا أراد المسلم اتخاذ قرار في أمر ذي بال - من نحو سفر، أو زواج، أو دراسة - فهو يتأدَّب بطلب الإرشاد إلى الخير مما قدّره الله تعالى.

الدليل: «إذا همَّ أحدكم بالأمر، فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من

فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أَقْدِر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علّام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسِّره لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدُرْ لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به، ويسمِّي حاجته»(٨٨).

- **السفر؛** فقد كان النبيُّ ﷺ إذا استوى على بعيره - خارجًا إلى سفر - كبَّر ثلاثًا، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربِّنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البِرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المُنْقَلَبِ في المال والأهل»(٨٩).

وإذا رجع من سفره قال مثل ما قال

عند الخروج، وزاد: «آيبون تائبون عابدون لربِّنا حامدون»(٩٠).

- **لبس الثوب**: «من لبس ثوبًا فقال: الحمد الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر»(٩١).

- **دخول المنزل**: «اللهم إني أسألك خير المَوْلِج وخير المَخْرَج، بسم الله وَلَجْنا وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكَّلنا»(٩٢).

- **الخروج من المنزل**: «بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة

إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ»(٩٣).

- **التوجُّه إلى المسجد**: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا وتحتي نورًا، وأمامي نورًا وخلفي نورًا، واجعل لي نورًا، وعظِّم لي نورًا»(٩٤).

- **دخول المسجد، والخروج منه**: قال عليه الصلاة والسلام: «إذا دخل

أحدكم المسجد، فليسلِّم على النبيِّ ﷺ، ثم ليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[٩٥].

- **الطعام والشراب**: يسمِّي الله في أول طعامه أوشرابه ويأكل بيمينه، ويبدأ بالأكل من أطراف الصحفة (الصحن)؛ لقول النبيِّ ﷺ: «يا غلام سمِّ اللهَ، وكل بيمينك، وكل مما يليك»[٩٦]، فإن نسي - أن يسمِّي - في أول الطعام، قال: بسم الله أوَّلَه وآخرَه[٩٧]. ومن آداب الأكل أيضًا: أن يجلس جلسةً

متواضعة لائقة؛ لا مائلًا على جنبه، أو مستندًا إلى وسادة، لكون ذلك فيه مزيد تقدير لنعمة الله التي بين يديه، قال ﷺ: «لا آكل وأنا متكئ»(٩٨).

ومن آدابه - التي قد يستغربها بعض من استمسك بعادات (غريبة غربيَّة)، أن يأكل الطاعم بيده بثلاثة أصابع - الإبهام والسبَّابة والوسطى -، وأن يلعق أصابعه، إذا أنهى طعامه!!

نعم، فقد روى مسلم أن «رسول الله ﷺ كان يأكل بثلاث أصابع، ويلعق يده قبل أن يمسحها»(٩٩).

هذا، وإن للأكل باليد - النظيفة - ولعق الأصابع بعد إنهاء الطعام، فوائد صحية أثبتها الطب الحديث؛ منها وجود مواد تعمل كمساعدات على الهضم (أنزيمات)، على سطح بشرة الأصابع!! عليه، فإن الأكل بالملعقة يفوِّت هذه الفائدة الصحيَّة، بل قد يجعل الآكلَ بملعقةٍ عرضةً لانتقال جرثوم مُعْدٍ، إن لم يُعمل على تنظيفها جيدًا من أثر لَعْق آكلٍ سَبَقَه!

وهنا تنبيه على أن لعق الأصابع، لأكلٍ ما قد يكون تبقَّى أثرُه عليها، لا يكون إلا في آخر الطعام، مرة واحدة، وبخاصة إن كان يأكل مع غيره.

ومن آداب الطعام أيضًا : تجنُّب التنفُّس فيه، أو النفخ فيه لتقليل حرارته؛ فهو - فضلًا عن ضرره الصحي، بتجمُّع أكبر قدر من جراثيم التنفُّس والكربون المنبعث بالزفير - فإنه تصرف ينافي تقدير شعور الآخرين، فقد يأكل من القصعة، أو يشرب من الإناء غير النافخ فيه، فهل يسوغ أن ينفخ في طعام غيره أو يتنفس في إناء شرابه، أو ينقل إليه مرضًا يحمله، جرّاء تبريده لأكله أو شربه؟!

ومن ذلك أيضًا : تقليل الكمية من ذلك؛ ولا داعي لسرد أضرار الإكثار من

الطعام والشراب، فالدنيا ممتلئة وأهلها منشغلون - في عصرنا - بتعداد أضرار السُّمْنة، وبتعداد مزايا إنقاص الوزن، قال ﷺ: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًا من بطنٍ، بحَسْب ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقِمْن صُلْبَه؛ فإن كان لا محالة: فثُلُثٌ لطعامه، وثُلُثٌ لشرابه وثُلُثٌ لنَفَسِهِ»(١٠٠).

ومن أدب الطعام: غسل اليدين بعد الطعام(١٠١)، «من بات وفي يده غَمَر(١٠٢) ولم يغسله، فأصابه شيء، فلا يلومنَّ إلا نفسه»(١٠٣).

وختامًا، فإن من آداب الطعام أن يختمه بشكر الله المنعم، وذلك بقوله ﷺ: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفيٍّ، ولا مُوَدَّعٍ، ولا مستغنًى عنه ربَّنا»(١٠٤).

أو يقول: «الحمد لله الذي كفانا وأَرْوانا، غير مَكْفِيٍّ ولا مَكْفُور»(١٠٥).

أو يقول: «الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوة»(١٠٦).

فإذا جمع بين تلك المحامد: كان حمده أبلغ، وأدبه أعظم.

اللباس والزينة: الإسلام دين الفطرة، والفطرة أصلٌ لكل جمال، فلا يليق بمسلم - عرف روح الدين - مخالفة ذلك، محتجًّا بضرورة التزهُّد والبعد عن الرياء!

ولننظر إلى بعض آداب الملبس والزينة:

ففي أدب الملبس؛ ثوبٌ نظيفٌ، متواضع، متوسط؛ لا هو دونٌ(١٠٧)، ولا هو متطاول: يجرُّه صاحبه خيلاء، وثوب أيضًا لم يُصنع من حرير.

نظيف؛ فقد قال النبيُّ ﷺ: «أما كان يجد هذا ما يغسل به ثوبه؟!»(١٠٨).

متواضع؛ لما صحَّ أن السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أقسمت أن رسول الله ﷺ قد قُبِض في إزارٍ غليظ كان يُصنع باليمن، وكساءٍ من التي يسمُّونها المُلَبَّدَة»(١٠٩).

متوسط، ليس دونًا وليس فاخرًا؛ لقوله ﷺ: «إن الله يحبُّ أن يرى أثر نعمته على عبده»(١١٠).

ثوب لا يجرُّه صاحبه خيلاء، لقوله: عليه الصلاة والسلام: «لا ينظر الله إلى من جرَّ ثوبه خُيَلاءَ»(١١١).

ثوبٌ ليس من حرير، لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من لَبِس الحرير في الدنيا فلن يَلْبَسَه في الآخرة»(١١٢).

وبإجمال فإن رسول الله ﷺ استحب للمسلم أن يكون دومًا متأنِّقًا في ملبسه - وبخاصة إذا كان في مجمع من الناس - فقال ﷺ: «إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم، حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس؛ فإن الله عزَّ وجلَّ لا يحب الفحش ولا التفحُّش»(١١٣).

وفي أدب التزيُّن أمور؛ منها:

شَعْرٌ مُكْرَمٌ مَرَجَّل، لا قَزْعَ فيه(١١٤)، فأما ترجيل الشعر، فلقول النبيِّ ﷺ: «أما كان يجد هذا ما يُسَكِّنُ به

رأسَه؟!»(١١٥)، وأما القَزْع فقد نهى ﷺ عنه لما رأى صبيًّا حُلق بعضُ شعرِه وتُرك بعضُه، فقال: «احْلِقُوه كلَّه أو اتْرُكُوه كُلَّه»(١١٦).

ومنها: الاهتمام بشعر الوجه، بإعفاء(١١٧) اللحية، وجَزِّ الشارب، وتغيير الشيب - بِحِنَّة ونحوها - إلى غير سوادٍ، لقول النبيِّ ﷺ: «خالفوا المشركين(١١٨)، أَحْفُوا الشوارب، وأَوْفُوا اللِّحى»(١١٩)، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «غيِّروا هذا بشيء(١٢٠) واجتنبوا السواد»(١٢١).

ومنها: تعاهد البدن بخصال الفطرة؛ قال ﷺ: «خمسٌ من الفطرة: الختان، والاستحداد، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، وقصُّ الشارب»[١٢٢]. وقال عليه الصلاة والسلام: «عشرٌ من الفطرة: قصُّ الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقصُّ الأظفار، وغسل البَراجِم[١٢٣]، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»[١٢٤]. قال الراوي[١٢٥]: ونسيت العاشرة، إلا أن تكون المضمضة[١٢٦].

كما ترى فإن الروايتين تتكاملان بذكر

عامَّةِ خصال الفطرة؛ فالمسلم إنسان سويٌّ الفطرة، يهتم بتفاصيل الطهارة، ويُعنى بدقائق التزيُّن.

ومن التزيُّن: التطيُّب، «وإن أطيب الطِّيْب: المسك»(١٢٧). ومن مزيد أدب المسلم أنه يقبل دومًا الهدية، وبخاصة إن كانت طيبًا؛ فقد «كان النبيُّ ﷺ لا يَرُدُّ الطِّيْب»(١٢٨)، وبخاصة من الطِّيْب الرَّيْحان؛ قال عليه الصلاة والسلام: «مَن عُرِضَ عليه ريحانٌ فلا يَرُدَّه، فإنه خفيف المحمل، طيّب الرِّيح»(١٢٩).

ومن التزيُّن - أيضًا -: الاكتحال

للرجال! لقوله ﷺ: «إن خير أكحالكم الإثْمِدُ[١٣٠]، يجلو البصرَ، ويُنبت الشعر»[١٣١].

هذا، وينبغي التنبُّه - في هذا المقام - إلى أمورٍ صحَّ النهي عنها، والتنفير منها، قد يحسبها بعض الناس داخلةً في التزين، نذكر منها: الوشم[١٣٢]، والنَّمْص[١٣٣]، والتفلُّج[١٣٤] في الأسنان، ووصل الشعر (الباروكة)، أو تزيُّن الرجل بما اختصَّت به النساء؛ كلبس حرير، أو تحلٍّ بذهب، أو صبغ ثوب بزعفران[١٣٥]، أو تَحَنٍّ بيدين أو رجلين.

ولنتابع في آداب المسلم المختصة به.

التثاؤب والعطاس: قال النبيُّ ﷺ: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب؛ فإذا عطس أحدكم وحَمِدَ اللهَ كان حقًا على كلِّ مسلم سَمِعه أن يقول له: يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان؛ فإذا تثاءب أحدُكم فليَرُدَّه ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان»(١٣٦).

عليه، فإن أدب التثاؤب يكون:

- بالتنفس العميق عند الشعور بالرغبة في التثاؤب.

- فإن كان لا بد، فلا يصدر صوتًا عند تثاؤبه.

أما العطاس فأدبه:

- أن يلتفت بوجهه عمن حوله.
- أن يبادر إلى حمد الله بعده، بصوت مُسْمِعٍ.
- أن يبادر من سمعه بالدعاء له بالرحمة.

وكلُّ ذلك - كما لا يخفى - مما يقرِّب بين الناس، ويؤلف بين قلوبهم.

أدب النوم؛ وهو أدب فريد، اختصَّ به الدين الإسلامي؛ فلم نر أُمة قَطُّ تعمد إلى التجهز للنوم، بمثل ما تفعله أُمَّة

الإسلام، وسألخص ذلك على ضربين؛ أفعال، وأقوال:

أما الأفعال: فثلاثة:

الوضوء، والاضطجاع على الشقِّ الأيمن؛ لقوله ﷺ: «إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن»(١٣٧).

والثالث: نفض الفراش؛ لقوله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فلينفض فراشه بداخِلَةِ إزاره، فإنه لا يدري ما خَلَفَه عليه»(١٣٨).

وأما الأقوال فعديدة، أذكر منها:

- تلاوة آية الكرسي؛ لما جاء في رواية حفظ أبي هريرة لزكاة رمضان من قول الآتي الذي أتاه[١٣٩]: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي؛ فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنَّك شيطان حتى تُصبح، وقال النبيُّ ﷺ «صَدَقَك وهو كذوب، ذاك شيطان»[١٤٠].
- تلاوة الآيتين من آخر سورة البقرة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ...﴾ إلى آخر السورة الكريمة

[البَقَرَة: ٢٨٥-٢٨٦]؛ لقول النبيِّ ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة؛ من قرأ بهما في ليلة كفتاه»(١٤١).

- تلاوة سورة (الكافرون)؛ لقوله ﷺ: «اقرأ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾، ثم نَمْ على خاتمتها فإنها براءة من الشرك»(١٤٢).

- تلاوة سورة الإخلاص، والمعوِّذتين، مع النفث - النفخ اللطيف مع قليل من الريق - في الكفين، ومسح ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده،

(يفعل ذلك ثلاث مرات)؛ فقد «كان ﷺ إذا أخذ مضجعه نفث في يده وقرأ بالمعوذات، ومسح بهما جسده»(١٤٣).

- أن يكبِّر اللهَ أربعًا وثلاثين، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويسبِّح ثلاثًا وثلاثين». لقوله ﷺ لعليٍّ وفاطمةَ رضي الله عنهما: إذا أخذتما مضاجعكما، فكبِّرا الله أربعًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وسبِّحا ثلاثًا وثلاثين»(١٤٤).

- أن يقول: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت

نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[١٤٥].

- أن يقول: «اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت»[١٤٦].

- أن يقول: اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوَّضت أمري إليك، ووجَّهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت. ويجعل هذا آخر ما يقول[١٤٧].

المسلم متأدِّبٌ خلال نومه أيضاً!!

نعم، «إذا تعارَّ المسلم من الليل - أي: تقلَّب في فراشه، فاستيقظ، لكنه أراد متابعة نومه - فقال: لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير، والحمد لله، وسبحان الله، ولا إلٰه إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفرلي، أو دعا، استُجِيب له، فإن توضأ وصلّى قُبِلَتْ صلاتُه»(١٤٨).

هذه طائفة من آداب النوم التي سنَّها لنا رسول الله ﷺ؛ فهل تجد شيئًا منها عند غير المسلمين؛ فكم وكم يبيت أناس -

يُعَدُّون بالمليارات - لا يدرون عن هذه الآداب السامية شيئًا، فضلاً عن تطبيقها.

وأخيرًا، أدب التخلِّي (قضاء الحاجة).

قال بعض المشركين للصحابي سلمان الفارسي ﵁ - مستهزئين، وقد أغاظهم أن النبيَّ ﷺ قد علَّم أصحابه أدبَ كلِّ شيء حتى كيفية قضاء الحاجة -: قد علَّمكم نبيُّكم كلَّ شيء، حتى الخِراءَةَ؟! قال: أجل، لقد نهانا أن نستقبل القِبْلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار[١٤٩]، أو أن نستنجي برجيع[١٥٠] أو بعظم»[١٥١].

وفي الحديث: «اتقوا اللَّعَّانَيْن»، قالوا: وما اللَّعَّانان، يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلَّى في طريق الناس، أو في ظِلِّهم»(١٥٢).

ويتحصَّل مما ذكر آنفًا أن آداب التخلِّي:

- عدم استقبال القبلة أو استدبارها، إلا في الأماكن المخصَّصة لقضاء الحاجة.
- عدم الاستنجاء باليد اليمنى.
- الاستنجاء ثلاثًا بالماء، أو بما يزيل عين النجاسة.
- عدم التخلِّي في أمكنة قد يرتادها الناس.
- تجنُّب الاستنجاء بشيء قد ينتفع به الآخرون، حتى لو كانوا من الجِنِّ!!

ثالثًا: الأدب مع الخلق

وفيه مطلبان:

أ- الأدب في التعامل الخاص (البيئة الأقرب).

ب- الأدب في التعامل العام (مَجامع الناس).

أ- الأدب في التعامل الخاص (البيئة الأقرب).

وفيه ثمانية أنواع:

١- الأدب مع الوالدين.
٢- الأدب مع الإخوة.
٣- الأدب بين الزوجين.
٤- الأدب في تربية الأولاد.
٥- الأدب مع الأقارب (صلة الرحم).
٦- الأدب مع الجار.
٧- الأدب مع الأصدقاء.
٨- الأدب في معاملة الخدم.

١- الأدب مع الوالدين.

يعتقد كلُّ مسلم بعظيم حقِّ والدَيْه عليه، ووجوب بِرِّهما وطاعتهما، والإحسان إليهما، لأن بِرَّهما يتبوأ منزلة أَوْجَبِ الواجبات الدينية من بعد توحيد الله عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ [الإسرَاء: ٢٣]. وقد حكم رسول الله ﷺ بأن الوالدين هما أحقُّ الناس بالمعاملة الحسنة؛ فقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، مَن أحقُّ الناس بحُسْن صحابتي؟ قال: «أمُّك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أمُّك»، قال: ثم

من؟ قال: «ثم أمُّك»، قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك»(١٥٣).

واسترضاء الوالدين - وبخاصة عند بلوغهما الكِبَر - سبب عظيم لدخول الجنة؛ قال النبيُّ ﷺ: «رَغِمَ أنف، ثم رَغِمَ أنف، ثم رَغِمَ أنف»، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكِبَر؛ أحدَهما أو كِلَيْهِمَا فلم يدخلِ الجنَّة»(١٥٤).

هذا يسيرٌ من عظيم حقِّ الوالدين، ووجوب بِرِّهما، لكن ما هي الخطوات العملية لتحقيق هذا الواجب؟

نقول: يلزم المسلمَ توقيرُ والديه بآداب منها:

● أولاً: في القلب.

- تقديم محبتهما على محبة الزوجة والأبناء والأقرباء.
- احترامهما وتعظيم شأنهما.
- محبة أن يُرزقا كلَّ خير وأن يُوقيا كلَّ شر.

● ثانيًا: بالقول.

- وذلك باللين لهما في الكلام، وعدم انتهارهما ولو بالتضجُّر منهما، وبخاصة عند بلوغهما سن الكِبَر.

- بالدعاء لهما، والاستغفار لهما، حال الحياة وبعد الممات.
- بالذبِّ عنهما، والحفاظ على سمعتهما وكرامتهما، وعدم التسبُّب بالتنقُّص من قَدْرهما؛ ففي الحديث: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجلُ والديه!»، قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟! قال: «يَسُبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمَّه فيسبُّ أمَّه»(١٥٥).
- بترك مجادلتهما، فيما يأمران به أو ينهيان عنه، أو يريانه من

رأي؛ كلٌّ ذلك بالمعروف وفيما لا معصية لله فيه، فعلى الولد التسليم لهما في ذلك ابتداءً، مخافة إغضابهما.

- بتكليمهما بصوت منخفض إكرامًا لهما، فلا يرفع صوته فوق صوتهما أبدًا.

• ثالثًا: بالفعل.

- خدمتهما وتنفيذ جميع ما يأمران به، ما أمكن ذلك، وما كان ذلك بالمعروف فيما شرعه الله تعالى.
- بذل كلِّ ما يستطيعه في الإنفاق عليهما، بطِيْب نفسٍ، ففي

الحديث: «أنت ومالُك لوالدك؛ إن أولادكم من أطيب كَسْبِكم، فكلوا من كَسْب أولادكم»[١٥٦].

- التأدُّب حال المشي معهما، أو الجلوس في مجلسهما؛ ففي الأثر أن أبا هريرة رضي الله عنه رأى رجلاً يمشي بين يدي رجل - أي: أمامه - فقال له: ما هذا منك؟ قال: أبي، قال: (فلا تمش بين يديه، ولا تجلس حتى يجلس، ولا تَدْعُهُ باسمه)[١٥٧].

- صلة أصدقائهما، وأهلِ وُدِّهما، ولو بعد وفاتهما؛ لقول النبيِّ

ﷺ: «إن من أَبَرِّ البِرِّ صلةَ الولد أهلَ وُدِّ أبيه»(١٥٨).

هذا، وإن الأبوين المشركَيْن، أو الفاسقَيْن لهما حقُّ البرِّ أيضًا كالأبوين المسلمَيْن، أو الصالحَيْن، غير أن ولدهما - فقط - لا يستغفر لهما ولا يدعو لهما إذا تيقن موتهما على الكفر، فإن هما ماتا على فسقٍ لا على كفرٍ: بالَغَ في الدعاء لهما، والاستغفار.

٢- الأدب مع الإخوة والأخوات.

أفردت هذا النوع من الأدب بالذكر؛ لكثرة ما يغفل عنه كثير من الناس، فهم

قد يصلون أقاربهم الأباعد، ويَدَعون إخوانهم وأخواتهم، مع كون هؤلاء يمثلون أُخُوَّةَ الرَّحِم، وهي أصل رَحِم القرابة؛ وإن الحفاظ على علاقة طيبة مع الإخوة والأخوات والتأدب معهم، باحترام كبيرهم ورحمة صغيرهم، والإحسان إليهم، هو أصل في البِرِّ بالرِّحِم ووَصْلها؛ وقد سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ: من أَبَرُّ؟ قال: «أمَّك وأباك، وأختَك وأخاك، ومولاك الذي يلي ذلك؛ حقًّا واجبًا، ورَحِمًا موصولة»(١٥٩).

٣- الأدب بين الزوجين[١٦٠] :

إن التزام الزوجين الآداب الإسلامية في الحياة الزوجية، هو أمر ضامن - بإذن الله - لاستمرار هذه الحياة هنيئة موفَّقة، وإن أي إخلال بشأن تلك الآداب هو مدعاة لاختلال توازن بناء الأسرة السويَّة، وهذه الآداب هي في حقيقتها حقوق وواجبات يلتزم كلٌّ من الزوجين العملَ بها، وهي إما أن تكون مشتركة بين الزوجين، أو ينفرد كلٌّ منهما بما يختص به.

أ- الآداب المشتركة:

- الأمانة؛ إذ يجب على كلٍّ من

الزوجين أن يكون أمينًا مع صاحبه، فلا يخونه في قليل ولا كثير.

- المودة والرحمة؛ يتبادلانهما بينهما طيلة الحياة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم: ٢١]. وتحقيقًا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «من لا يَرْحم لا يُرْحم»(١٦١).

- الثقة المتبادلة بينهما؛ وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[الحُجرَات: ١٠]، ولقول الرسول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»(١٦٢).

- التزام الآداب العامة بينهما؛ من رفق في المعاملة، وطلاقة وجه، وكرم، وتقدير واحترام، وهي: المعاشرة بالمعروف التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٩]، وهي: الاستيصاء بالخير الذي أمر به الرسول العظيم ﷺ في قوله: «استوصوا بالنساء خيرًا»(١٦٣).

إن الزوجين خليطان وصاحبان

مستمران، فإذا رفع أحدهما أو كلاهما - لكثرة الخِلْطة - الحدود الأدبية في التعامل، كان ذلك أسوأ ما يواجه استقرار الحياة الزوجية، ويمنع دوام الإلفة بين الزوجين، ومن الملحوظ أن كثيرًا من المشاكل الزوجية يكون مردُّها إلى سوء التعامل، وانعدام الاحترام، وحرص كلٍّ طرف على مصلحته الخاصة، دون الاهتمام بشعور الآخر، أو الحرص على نفعه.

ب- أدب مختص بالزوج؛ والمقصود: حسن أداء الزوج لحقوق زوجته الأدبية التي شرعها الإسلام، ما بين واجب

ومندوب؛ وهي عديدة أذكر منها :

- أن يعاشرها بالمعروف، ويعاملها بالإحسان ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .
- أن يوسِّع عليها في النفقة فيما يرى حاجتها إليه .
- أن لا يشقَّ عليها بتكليفها ما لا تستطيعه من الخدمة وغيرها .
- أن يستشيرها فيما يتعلق بمصلحة الأسرة، ويُحْسِنَ الاستماع إليها .
- أن يعلِّمها ما تحتاج إليه من أمور دينها .
- أن يشجعها على مزيد من طاعة الله

تعالى، وأن يحجزها عن معصيته ما استطاع.

- أن يُظهر لها إشفاقًا ورحمة إذا احتاجت إليه في مرض وغيره، فضلاً عن توفير الطبابة لها.
- أن يَحْلَمَ عليها إذا غضبت، أو كانت في مزاج سيئ لأمرٍ أزعجها.
- أن يجتهد في لقائها دومًا بوجه طَلِقٍ.
- أن يراعي حقها في التصرف بحرية، ما دام أنها متقيِّدة بشرع الله.
- أن يعينها في خدمة بيتها، بين الحين والآخر.

- أن يجتنب تعمُّد الإضرار بها، معنويًا أو ماديًا.
- أن يحرص على الظهور لديها بمظهر حسن.
- الذبّ عنها في غيبتها، ودفع الأذى عنها إذا تعرضت إليه.
- تجنب الغضب المتكرر لأسباب ليست بذات بال.
- البعد عن الانتقاد، ما أمكن.
- إظهار الغضب، والإنكار عليها، إذا رأى منها ما يخالف شريعة الله.
- أن يعدل بينها وبين ضَرَّتِها، إن وُجدت.

ج- أدب مختصٌّ بالزوجة؛ وهو: ما أوجبته الشريعة أو استحبته في معاملة الزوج، ومن ذلك:

- المعاشرة بالمعروف؛ والمعاملة بالإحسان.
- توقير الزوج، واحترامه.
- طاعته في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، إن أمكنها ذلك، ولم يكن فيه معصية لله تعالى.
- أن تحفظه في نفسها، وبيتها.
- أن تُحسن التزيُّنَ له، بحسن المقال، وحسن المظهر.
- أن لا ترهقه في كثرة طلباتها.

- أن لا ترفع صوتها فوق صوته.
- أن تجتنب الإساءة إلى أقاربه.
- أن لا تمتنع منه إن دعاها.
- أن تتعاون معه على تعلم أمور الدين والعمل بها.
- أن تشاوره في كل أمر متعلق بمصلحة الأسرة.
- أن تجتنب إغضابه ما وسعها ذلك.
- أن تكثر من شكره، والدعاء له، كلما صنع إليها معروفًا.

٤- الأدب في تربية الأولاد:

ومقصود ذلك: أداء ما للولد على والديه من حقوق وهي عديدة، منها:

- التأذين عقيب ولادته في أذنه اليمنى، والإقامة في أذنه اليسرى،[١٦٤]، وتحنيكه - بمضغ تمرةٍ ودَلْكِ حنكه بها.
- وفي يوم سابعه، يُعَقّ عنه[١٦٥]، بذبح شاة، ويسميه أبوه باسمٍ حسن، ويُسْتَحَبُّ له أن يكنِّيَ مولوده أيضًا، ويَحْلِقَ رأسُه، ويَتَصَدَّق بوزن شعره فضة.
- إظهار المحبة له، والرحمة به، والإشفاق عليه؛ ما يسهم بشكل فاعل في تنشئته الولد نشأة سوية.

- الإنفاق عليه، بما يحقق مصالحه الدنيوية باعتدال.
- العدل في معاملة الأولاد، وبخاصة في النفقة.
- حُسن تأديب الأولاد بالقدوة الحسنة أولاً، ثم بتعليمهم الضُّروري من أمور دينهم، وتعويدهم طاعة الله تعالى، وتكرار زجرهم عن معصيته.
- تعويد الأبناء مبدأ الاعتماد على النفس، وإن كانوا ذوي مالٍ أو جاه، ليكون ذلك عونًا لهم على مصاعب الحياة.

٥- الأدب مع الأقارب (صلة الرَّحِم).

قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النِّسَاء: ٣٦].

ويقول النبيُّ ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق، حتى إذا فَرَغ منهم قامت الرَّحِمُ، فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: نعم، أَمَا ترضَيْن أن أَصِلَ مَن وَصَلَك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا ربِّ، قال: فهو لكِ»، قال رسول الله ﷺ: «فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمَّد: ٢٢]»(١٦٦).

وقال ﷺ: «ليس الواصل بالمكافِئ، ولكنِ الواصلُ الذي إذا قُطَعَتْ رَحِمُه وَصَلَها»[١٦٧].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن أحبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقه، ويُنْسَأُ له في أثره[١٦٨]، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١٦٩]. وقال رجل للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله، إن لي قرابةً أَصِلُهم ويقطعوني، وأُحْسِنُ إليهم، ويسيئون إليَّ، وأَحْلُمُ عنهم ويجهلون عليَّ، فقال ﷺ: «لئن كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهُمُ الملّ[١٧٠]، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمتَ على ذلك»[١٧١]. وقال عليه أزكى صلاة وأتمُّ

تسليم: «لا يدخل الجنة قاطع»[١٧٢].

تلك النصوص الكريمة تدل على جلالة أمر التواصل مع الأقارب، وعظم ثواب القائم بذلك، والوعيد المترتب على تركه.

ولننظر الآن كيف تتحقق هذه الصلة في **خطوات عملية:**

- اجعل قائمة خاصة بعناوين ذوي قرابتك، وأرقام هواتفهم، أو بريدهم الإلكتروني.
- تفقَّدْ أحوالهم، وتواصل معهم بشكل دوري.

- اجعل جدولًا مختصًا بالتواصل معهم بزيارة، أو اتصال؛ مرتِّبًا ذلك بالأولوية.
- إذا علمت فرحًا أو ترحًا ألمَّ بأحدهم، فبادر إلى مشاركته مشاعره.
- إذا علمت حاجة ماسَّة لأحدهم - وأمكنك قضاءها - فاستعن بالله، واقضها.
- إذا أمكنك السعي لجمع أفراد العائلة أو بعضهم في مناسبات، كالعيد مثلاً، فاجتهد في تحقيق ذلك.
- وقِّر كبيرهم، وارحم صغيرهم،

وعاملهم باحترام قولًا وفعلاً.

- تبادل معهم الهدايا، وإن كانت متواضعة.
- ذُبَّ عنهم أيَّ أذى معنوي، كالنيل من مقامهم بغيبة أو استهزاء ونحوه.
- لا تجازِهِم بالهجران هجرانًا، وحاول مجاهدة نفسك في وصلهم وإن قطعوك.
- ادع لضالِّهم بالهداية، ولعاصيهم بالتوبة، ولصالحهم بالزيادة، ولمريضهم بالشفاء، ولفقيرهم بالرزق، ولغنيهم بالبركة.

إن فعلت ذلك كلَّه، أو بعضه، كنت

واصلاً لرحمك، وربما نفع الله بك فاجتمعت عليك قلوب أقاربك، وكنت بمثابة القدوة لهم.

٦- الأدب مع الجيران (حقوق الجار).

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النِّسَاء: ٣٦]. وقال النبيُّ ﷺ: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه»(١٧٣).

قد يستغرب المرء - ابتداءً - عظيم اهتمام الإسلام بشأن الجار؛ حيث إن من المقرَّر ابتداءً: أن «المسلم أخو المسلم»(١٧٤)، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان

يَشُدُّ بعضُه بعضًا»[١٧٥]، فلمَ إذًا تأكيد الوصية بالجار؟!

وبتأمل يسير للنصوص المتعلِّقة بذلك، يظهر أن مزيد المراعاة لحق الجار إنما هو مدخل لمقصد أهم؛ وهو: تحقق الإلفة بين المتجاورين، فإن حصل ذلك تَبِعه تآلفُ عامَّةِ المسلمين.

فعلى أيِّ شيء يُبنى حق الجوار؟

بنى الإسلام حقَّ الجوار على المبادءة بالإحسان، ومبادلته بمثله، وعدم المبادءة بالإساءة أبدًا، وعدم ردِّ الإساءة بمثلها؛ هذه الأسس الأربعة - في

معاملة الجار - يتفرع عنها العديد من آداب الجوار؛ هاك بعضَها:

- كن مبادرًا بالإحسان إلى جارك:

أولًا: أحسن إليه إحسانًا معنويًا: فابدأه بالتحية إذا لقيته، وتبسَّم إليه منبسطًا وصافحه، اطلب زيارته وبادر بها، وأكرم وفادته إذا دخل دارك، أعِنْه إذا استعانك، تفقَّد أحواله، هنئه في أفراحه، وشاركه السرور بها، عُدْه إذا مرض، عزِّه في مصابه وتقبّل معه العزاء إن أمكن، كأنك فرد من عائلته، تغاض عن أخطائه والتمس له عذرًا ما أمكن

ذلك، استر عوراته وذُبَّ عنه في غيبته، بل أثنِ عليه بما علمته من محاسنه، واحفظ حرمة أهله في غيبته كما في حضوره، انصحه بالتلميح لا بالتصريح إذا دعت الحاجة إلى ذلك، أصغ إلى كلامه واحترم رأيه ثم احرص على مخاطبته دومًا بطيب الكلام، أحسن الظنَّ بفعله واحمله على القصد الحسن، ولا تحمِّل أفعاله أكثر مما تحتمل، لا تبخل عليه أو على ولده بكلمة طيبة، أو نصح بتلطُّف.

ثانيًا: أحسن إليه إحسانًا ماديًا: فبادر إلى إعانته؛ وأكثر من الإهداء إليه، ولو

باستحبابه بشيء يسير من طعام، ثم لا تمنع عنه طلبه اليسير إذا اضطر إليه، مما جرت عادة الجيران بطلبه؛ ثم بادر بإعانته - بمال أو غيره - إن رأيت حاجة عنده، وقدرت على قضائها، ولا تؤذه ولو بما تراه يسيرًا، واحجز أولادك - وحرِّج عليهم - أن يتسبَّبوا له بأي نوع أذى.

وأخيرًا، فإن هذه الحقوق للجار هي - في الإسلام - لعموم الجيران؛ وليست للمسلمين منهم فقط؛ وما يجدر ذكره هنا: أن من أعظم حق الجار - غير

المسلم - حسن التعامل معه؛ بالقدوة الصالحة، وأن هذا هو الباب الأقرب لتأثره بدعوة الإسلام، واللحاق بأهله.

٧- الأدب مع الأصدقاء:

قد أوجب الإسلام حقوقًا عامة في الأخوَّة الدينية، لا يحلُّ لمسلم أن يتهاون في شأن الأخذ بها؛ منها - مثالاً لا حصرًا -: التعاون على الخير بين أبناء المجتمع، وكف الأذى - المعنوي أو المادي - عن الناس، والمعاملة بالخُلق الحسن، وترك التحاسد والتباغض والهجر، والإصلاح فيما بين

المؤمنين، والعناية بصغيفهم، ورحمة صغيرهم، وتوقير كبيرهم، وغير ذلك الكثير مما لا يماثله أي ميثاق وضعي لحقوق الإنسان، مهما بلغ واضعوه حظًا في النظر.

نقول: هذه الحقوق الإيمانية التي ينتظم بها حال المجتمع المسلم بعامة، يتأكد العمل بها إذا اصطفى المسلم من بين إخوانه صديقًا يختصُّه بصدق المودة.

فما هي الآداب العملية التي تحفظ بها وُدَّ هذا الصديق؟

- أن تكون دائم انبساط الوجه عند لقائه.

- أن لا تخالفه فيما يريد، إن لم تكن فيه معصية.
- أن لا تكثر من جداله في أمر بعينه.
- أن تبذل له كلَّ مساعدة ممكنة.
- أن تَصْدُقَه القولَ، وتُصَدِّق قوله.
- أن تصبر على أذاه.
- أن تحفظ غيبته، بل تذبَّ عنه، وتستر عيبه.
- أن لا تتأخر في عَوْده إذا مرض، وتهنئته بالعافية إذا شفي.
- أن تبادله الهدايا والعطايا.
- أن تحسن الإصغاء إلى حديثه.
- أن تنصحه، لكن بتلطُّفٍ.

- أن تظهر الفرح بما يسرُّه، والحزن لما أهمَّه.
- أن تدعو له - ولأهله - في ظهر الغيب، في حياته، وبعد مماته.
- أن تظهر له احترامًا في المعاملة؛ فتوقِّره: كأن تبدأه بالتحية، وتوسِّع له في المجلس، وإذا زارك أن تستقبله عند باب دارك وتودِّعه عنده.

هذا - جميعه - بعض من حقوق الصداقة وآدابها؛ لكنك ترى كثيرًا من (أصدقاء اليوم) تنازعوا، وتنافسوا فيما بينهم على حطام الدنيا ولو على حساب الصداقة، حتى فسد الودُّ وانتحرت

الصداقة! وإذا أعوز أحدهم نفضوا اليد منه، وإذا مرض لم يَعُدْه منهم أحد، وربما لو مات لم يشيِّعوه، وهم يزعمون بعدها أنهم (شِلَّة أصدقاء)، لكن الواقع يشهد بأنهم لم يتعارفوا إلا لقضاء مصالح وانقضاء شهوات، وقد قال عمر ابن عبدالعزيز رحمه الله في التحذير من أمثالهم: (إياك ومَنْ مودَّتُه على قَدْر حاجته إليك؛ فإذا قضيتَ حاجته انقضَتْ مودَّتُه)(١٧٦).

٨- الأدب في معاملة الخدم.

لا تستغرب العنوان؛ فقد جرت العادة بتقرير وجوب تأدُّبِ الخادم مع سيده،

وحُسْنِ خدمته له؛ بيد أن للخدم حقوقًا يغفل كثير من الناس عنها اليوم.

الخدم في عصرنا: عمال، وأجراء، أَتَوْا وافدين طلبًا للرزق والمعاش، وتقتضي الضرورة الاستعانة بخدماتهم؛ فهم سبيل مهم لتيسير أمور الحياة؛ من قيادة سيارة، وخدمةٍ داخل المنازل وخارجها، فكيف لا نحسن معاملتهم، وبخاصة أننا في نظر كثير منهم - كعرب مسلمين - نمثل القمة في الأخلاق، وذروة السنام في الالتزام الديني؟! فكم نسمع عن مُسْتَخْدِمٍ لا يوفي حقًا، ولا

يُحسن تعاملاً، ولا يراعي طاقة خادمه، ثم إذا مرض لم يتحمل علاجه، وإذا احتاج لم يسعفه، وفي المقابل، كم نسمع عن أجير يكيد كيدًا، ويتلكؤ في عمله، وقد يؤذي أهل الدار، أو يُفسد أولادهم؛ لذا، بات من الضرورة أن نعرف لهؤلاء حقهم الذي قررته الشريعة؛ ومن ذلك:

- تعليمهم الضروري من أمر دينهم، إضافةً إلى تعريفهم بواجباتهم، التي لأجلها استُخدموا.
- توفيتهم أجورهم حال استحقاقهم لها.

- تجنب انتقاد تصرفاتهم، ما دامت في إطار المشروع والمعقول[١٧٧].
- مكافأتهم (معنويًا، وماديًا): إن هم أحسنوا الخدمة بأمانة وهمة.
- السماح لهم بفترات راحة مناسبة.
- مساعدتهم عند الحاجة، من مرض، أو غُرْم بأداء دين، وغيره.
- الصبر عليهم، وعدم التسرع في طرد أحدهم، وبخاصة إن كان له عهد طويل في الخدمة.
- أن يرضى للخادم ما يرضاه لأخيه في الدين؛ فإن لم يكن الأجير مسلمًا، فليرض له ما يرضاه لأخيه في

الإنسانية؛ فيُحْسِنُ له قولاً، ويُشْرِكُه في بعض مجالس طعامه(١٧٨)، أو يزوِّده بشيء منه، ولْيُلْبِسْه من الثياب ما لا يأنف هو من لبس مثلها، وليرحمه فلا يشق عليه بتكليفه ما لا يستطيعه؛ وليُعِنْه إذا صعب عليه أداء ما كُلِّف به(١٧٩).

وبالإجمال؛ فإن الإسلام قد أعظمَ ثوابَ من يشفق على الضعفاء من خلق الله، ومن يَرْفُق بهم، ويرحمهم؛ وهؤلاء الخدم إنما امتهنوا الخدمة لفقرهم أو فقر ذويهم، وإن أيَّ إجحاف - معنويٍّ أو ماديٍّ - بحقهم، قد يحوِّلهم إلى كتلة من

الطباع السيئة، التي لا يحب أحدنا أن تكون مستقرة في بيته، ومخالطة لأهله وذويه!

ب- الأدب في التعامل العام (مَجامع الناس).

لئن كان التأدُّب في خاصة شأن المسلم مطلوبًا، فإن تَمَثُّلَه آداب الإسلام عند اجتماع الناس أكثرُ طلبًا، وإن المسلم يحرص - الحرص كلَّه - على أن يكون قدوة في تأدُّبه عند مجامع الناس، ليعكس بذلك صورة حية لإسلامه، ويكرِّس بذلك مفهوم: الدين المعاملة، وأن الدين يقصد - فضلًا عن القيام بالعبادات - إلى بناء حضارة

إنسانية راقية، يتحقق بها المعنى الشامل للعبودية.

وهاك ثمانيةً من آداب المحافل، تدعو الضرورة إلى تعلُّمها، والعملِ بها:

١- أدب المسجد:

- أن يتزين لخروجه إلى المسجد؛ بلبس الحسن من الثياب، مع التنظف والتطيب.
- أن يدعو بدعاء التوجُّه إلى المسجد، ودعاء الدخول إليه، وأن يقدِّمَ رجله اليمنى عند الدخول، ويقدِّمَ اليسرى عند الخروج.

- أن يقدِّمَ أخًا مصلِّيًا في دخول المسجد، إن تلاقيا عند الباب.
- أن لا يجلس حتى يصلي ركعتي تحية المسجد.
- أن لا يُدْخِلَ معه إلى المسجد ما قد يتأذى به المصلُّون.
- أن لا يشوش على المصلين، بتلاوة بصوت مترفع، أو برفع صوتٍ في التحدث، أو في إسماعهم نغمة جواله، ونحو ذلك.
- أن لا يجهر بصلاته، في الجماعة، بتلاوة أو تسبيح، أو تشهُّد، بحيث يفقد مُجَاوِرُه من المصلين تركيزه في أداء صلاته.

- أن لا يكثر من الحركات التي لا داعي لها أثناء تأديته الجماعة.
- أن لا يبالغ في بسط ساعديه، مضيِّقًا بهما مكان سجود جاره.
- أن لا ينادي على سلعة يبيعها أو يَنْشُدَ ضالَّة له: شيئًا مفقودًا يبحث عنه.
- أن يستاك بُعَيْد وضوئه، وقُبَيْل صلاته.

هذا، وإن للمسجد **آداب عند صلاة الجمعة** علاوة على ما ذكر آنفًا، منها:

- الغُسْل للصلاة.
- أن لا يتخطَّى صفوف الجالسين.
- أن يُحسن الإنصات إلى الخطيب.

كما أن **للخطيب أيضًا** آداب، منها:

- أن يُحسن اختيار موضوع الخطبة، والتحضير لها.
- أن يسلِّم على المصلِّين.
- أن يستقبل المصلِّين بوجهه أثناء الخطبة.
- أن لا يطيل الموعظة.
- أن يتفاعل مع الخُطبة بصوته وإشاراته، بما يناسب المقال.

٢- أدب المجلس:

- أن يتجمَّل للمجلس بحسن المظهر، والتطيُّب.

- أن لا يبادر إلى حضور مجلس إلا إذا دُعي إليه.
- أن يلقي السلام على أهل المجلس، ويصافحهم.
- أن يجلس حيث يجد فسحة.
- أن لا يتصدَّر المجلس إلا إن كان أهلًا لذلك.
- أن يُظهر وقارًا في مجلسه وسكينة.
- أن لا يرفع صوته في تحدثه بأكثر مما يحتاج إليه السامع.
- أن يحرص على ذكر الله تعالى، والصلاة على النبيِّ ﷺ، قبل انقضاء المجلس.

- أن يستعظم غِيبة لأحد، أو نميمةً، أو تصريحًا بظنٍّ، أو سخرية، أو همزًا أو لمزًا.
- أن يحفظ أسرار المجالس.
- أن يبادر إلى الإفساح في المجلس إذا حضر أهلُ علم وفضل.
- إن كان أهل المجلس جميعهم ثلاثة، فليحرص على أن لا يناجي - يُسَارَّ - أحد الجالسَيْن دون صاحبه[(١٨٠)].
- أن يرد تثاؤبه ما استطاع، فإذا تثاءب فليضع يده على فيه[(١٨١)].

- أن يشمِّتَ العاطس بعد حمده[١٨٢]، بقوله: يرحمك الله.
- أن يسدِّد ويقارب في مدة جلوسه؛ فلا يطيل ولا يقوم من مجلسه بعد زمن يسير.
- أن يدعو بالمأثور قبيل قيامه من مجلسه، بما يسمى: كفَّارة المجلس، وهو: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[١٨٣].

أما المجلس في ممرِّ الناس، من طريقٍ ونحوه، فقد أرشد رسول الله ﷺ إلى أدب ذلك بقوله: «إياكم والجلوس على

الطرقات»، فقالوا: ما لنا بُدٌّ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها، قال: «فإذا أبيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطريق حقها»، قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر»(١٨٤).

٣- أدب المائدة (المؤاكلة)

يَلْزَمُ المدعوَّ إلى طعامٍ التصرُّفُ اللائق عند حضوره الدعوة؛ وفي ذلك آداب عديدة، منها:

- أن يشكر لصاحب الدعوة دعوته.
- أن لا يجلس إلا حيث يأذن له صاحب الدعوة.

- أن لا يباشر بالأكل، إذا حضر قبل أن يأذن بذلك صاحب الدعوة.
- أن لا يستأثر من الطعام المتاح بأجوده، مُضاعِفًا لنصيبه منه، غير مراعٍ لنصيب باقي الحاضرين[١٨٥].
- أن يأكل مما قرب منه من الطعام.
- أن لا يذمَّ طعامًا[١٨٦].
- أن لا يتفحَّص وجوه الآكلين؛ كأنما يستكثر عليهم ما يَطْعمون!
- أن لا ينفخ في إناء طعام لتبريده مثلاً، وهو حظٌّ لجميع الحاضرين.
- أن لا يفعل شيئًا يستقذره الحاضرون، كغمس لقمة واحدة

مرات عديدة في مَرَقٍ، بعد وضع بعضها في فيه!

- أن لا يكون أول القائمين عن المائدة.
- أن يمدح الطعام المقدَّم مهما كان.
- أن يدعو لصاحب الطعام، بالمأثور من الدعاء[١٨٧].
- أن يبادر إلى الانصراف بعد الطعام، بالاستئذان من صاحب الدار[١٨٨]، إلا إذا أَذِن له بالجلوس، ورغَّبه فيه.

وهكذا تبدأ المأدبة - في تعاليم ديننا- بحُسْن التأدُّب، وبه تنتهي، لتأتلف بذلك قلوب الحاضرين.

٤- أدب حضور الأعراس:

- ضرورة إجابة الدعوة، وشهود العرس وحضور وليمته، ولو كان المدعوُّ صائمًا[(١٨٩)].
- أخذ الزينة، بالتجمُّل بلباس حسنٍ، مع التطيُّب، ونحوه.
- المبادرة، حال الحضور، إلى تهنئة العروسين، بالمأثور، ومنه: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما بخير»[(١٩٠)].
- إظهار أمارات الفرح ما أمكن.
- التحدث بما يُدخل البهجة إلى قلوب الحاضرين.

- الحذر من الجدال، أو المعاتبة، ولو كان بوجه حق.
- إنْ عَلِمَ منكرًا، وكان أهلاً للإنكار، نصح بتلطف، وإلا استأذن بلباقة.
- التذكير إن أمكنه، بحق الفقراء في طعام الوليمة، وألا تقتصر على أهل الغنى(١٩١)، لتحصل البركة للعروسين.

٥- الأدب في التسوُّق.

قال رسول الله ﷺ: «أَحَبُّ البلاد إلى الله مساجدُها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقُها»(١٩٢)، فلِمَ كانت الأسواق

أبغض الأماكن عند الله تعالى، وهي محلٌّ للبيع وقد أحلَّه الله؟! وموضع لطلب الرزق، وقد أمر به الله؟!

إن تضارب مصالح الناس وشدة تنافسهم في تحصيلها، يدعو كثيرًا منهم إلى تحويل السوق إلى (محلٍّ للغش والخداع، والربا، والأَيمان الكاذبة، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله)[(١٩٣)]؛ كلُّ ذلك وغيره مدعاة لأن يجعل السوق مكانًا يُرتاد لضرورة التسوق، لا لهواية التنزُّه! والمؤمن - عند تسوُّقه - يجتهد

في التزام آداب؛ منها:

- إرشاد أهله ومحارمه، إلى ضرورة الالتزام بالتستر الواجب.
- الدعاء بالمأثور عند دخول السوق[١٩٤].
- غضُّ البصر عما يحرم النظر إليه.
- السماحة في البيع والشراء، والسهولة والتلطُّف في المطالبة بالحقوق، وإعطائها[١٩٥].
- اجتناب بيع المحرَّمات، وشرائها.
- اجتناب ما فيه ربا، أو غش[١٩٦]، أو احتكار[١٩٧]، أو تدليس[١٩٨]، ونحوه مما نهى الشرع عنه.

- ترك المماكسة، وهي: المبالغة في المفاصلة في ثمن السلعة.

٦- آداب السفر:

السفر سبيلٌ يُتوقَّع الحصول فيه على كثير من المنافع، وهو قد يعتبر ضرورة لبعض الناس؛ لذا، فقد أَوْلت الشريعة السفر اهتمامًا، فبيَّنت حكمته، وأحكامه، وآدابه، وهي عديدة، أذكر منها:

- أن يعمد إلى إبراء ذمته من حقوق الناس المالية.
- أن لا يسافر إلا لتحقيق طاعة، أو تحصيل مباح.

- أن يزوِّد أهله، بما يكفيهم مدة سفره.
- أن يصلِّي قبيل سفره صلاة الاستخارة، ويدعو دعاء الخروج إلى سفر، وإذا عاد يدعو دعاء الرجوع منه.
- أن يودِّع أهله وإخوانه مصافحًا لهم، ويقول: «أستودع اللهَ دينك وأمانتك وخواتيم عملك»(١٩٩).
- أن يرتِّب خروجه، إن أمكن، ليكون مبكِّرًا نهار الخميس(٢٠٠).
- أن يتخذ له رفقة صلحاء في سفره؛ فهو آنَسُ له، وأحسنُ عونًا على طاعة الله(٢٠١).

- أن يتخذ ورفقاؤه، إن كانوا ثلاثة فأكثر، أميرًا للركب، فقد يُحتاج إلى طاعته عند الاختلاف[٢٠٢].
- أن يدعو بالمأثور عند الركوب[٢٠٣]، وأن يكبِّر إذا صعد مرتَفَعًا، ويسبِّح إذا انحدر منخَفَضًا[٢٠٤]، وأن يدعو إذا وافق وقت السَّحَر في سفره[٢٠٥]، أو نزل منزلاً ليبيت فيه[٢٠٦]، أو دخل بلدة أو قرية[٢٠٧]، وإذا توقع حصول مكروهٍ من قوم ذوي بأس وأذًى[٢٠٨]، وأن يكثر - عمومًا - من الدعاء في سفره؛ فإن السفر من أحوال مظنة

استجابة الدعاء[٢٠٩].

- أن يجتهد في حُسْن الصحبة في السفر؛ وذلك بإعانة رفقاء السفر في زادٍ أو وسيلة نقل، وغيره[٢١٠].
- أن يعجِّل الرجوعَ إلى أهله إذا قضى حاجته من سفره[٢١١].
- أن يدعو بالمأثور، إذا أشرف على الدخول إلى بلده[٢١٢].
- أن يستهلَّ دخولَه بلده بالقدوم إلى المسجد، ويصلِّي فيه ركعتين[٢١٣].
- أن لا يدخل على أهله في وقت متأخر من الليل[٢١٤].

٧- أدب عيادة المريض:

رغَّب رسول الله ﷺ بعيادة المريض، بل قد أوجب ذلك[٢١٥]، بقوله: «أطعموا الجائع، وعُودوا المريض، وفُكُّوا العاني»[٢١٦].

وعيادة المريض كما أنها سبب عظيم لتحصيل الأجر والمثوبة، فهي - في الوقت نفسه - (سبب عظيم لوجود استرواح المريض وتجديد نشاطه، وانتعاش قوته)[٢١٧].

وقد شُرع للعائد أن يتحلَّى بآداب العيادة؛ ومن ذلك:

- إلقاء السلام ببشاشة وجه، وإظهار استبشار.
- الدعاء للمريض بالمأثور(٢١٨)، مع تسميته في الدعاء جهرًا، والمسح باليد اليمنى على موضع ألمه(٢١٩).
- تذكير المريض بعظيم الأجر في الصبر على المرض(٢٢٠)، وتبشيره بأنه سيكون في أحسن حال(٢٢١).
- إطعام المريض أحبَّ الطعام إليه، ولو قليلاً منه بحسب حالته الصحية، مما كان قد اعتاد أكلَه مع أهله وأصحابه، حال فرحه وصحته(٢٢٢).
- عدم إكراه المريض على نوع طعام أو شراب لا تشتهيه نفسه.

- الإهداء إلى المريض، ما يُشْعِرُه بالاهتمام بحاله.
- حسن الإنصات إليه عند تحدثه عما يشكو منه، وتبشيره بزواله.
- التحدُّث في حضرة المريض، بحديثٍ يُدخل البهجة إلى قلبه.
- مراعاة حال المريض الصحية، والتخفيف ما أمكن في مدة الزيارة(٢٢٣).
- الاستئذان بغاية التلطف عند إرادة الانصراف، مع الوعد بدوام تعهُّد المريض، وتفقُّدِ أحواله.

٨- أدبٌ في التعزية!

شُرعت التعزية تخفيفًا للمصيبة، وتسليةً لقلب المصاب، ومن أجل الإلحاح في الدعاء للميت، وطلبًا للأجر؛ ولحصول ذلك كلِّه كان لا بد من التزام السُّنَّة في التعزية، والعمل بآداب دلَّت عليها، أذكر منها:

- أن يقصد المعزِّي ابتداءً الأجرَ من الله تعالى.
- أن يحرص على التخفيف عن أخيه؛ بالتذكير له بحسن ثواب الصابر، والدعاء له وللميت بالمأثور[٢٢٤].

- إذا حضر الجنازة أن يُخلص في الدعاء للميت عند الصلاة عليه[(٢٢٥)]، وأن يحرص على المشاركة بحمله، وأن يستغفر له عند قبره[(٢٢٦)].
- أن يخفف في مدة الجلوس للتعزية.
- الإحسان إلى أهل الميت بما يستطيعه، من نحو صنع طعام لهم يكفيهم مدة التعزية[(٢٢٧)].

وللمعزّي أدب أيضًا:

- أن يقول لمن عزَّاه، فدعا له ولميته: آمين، آجرك الله.
- أن ينأى بنفسه عن أفعال الجاهلية؛

في النعي: فلا يندب الفقيد معدِّدًا مآثره، كما لا يأذن للنسوة برفع الصوت نَوْحًا أو الجَزَع بضرب الصدر، أو شدِّ الشعر، ونحو ذلك.

- أن يُكْثِرَ من قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ اللهم أجُرْني في مصيبتي، وأَخْلِف لي خيراً منها»[٢٢٨].



الفصل الرابع

آداب إسلامية عامة [أدبٌ مستمر]

يرافق المسلمَ آدابٌ تأصَّلَتْ في نفسه، واعتاد العملَ بها؛ فهي تمثل سلوكًا يوميًا له، ومسلَّماتٍ دينيةً لا يسعه الخروج عنها؛ وهي ما بين فعلٍ وترك، كالآتي:

- **الاجتهاد في تقديم كلِّ مساعدة ممكنة إلى الناس.**

وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصى؛ منها: عزل الأذى عن طريق الناس؛ مما يمكن

أن يعيق مرورهم، ومساعدة المضطر من مثل أعمى أو أصم أو أبكم، والدلالة للناس على أماكن يريدونها وقد ضلُّوا طريقها، والمساعدة في نقل حاجيات الناس على مركوبهم إن استثقلوا رفعها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإصلاح بين متخاصمين، والتلطف في مخاطبة الناس ومعاملتهم بالحسنى، والرأفة بضعيفهم، والنصح لهم، وإظهار الاحترام لهم، وبدؤهم بالسلام، ولقاؤهم بتبسُّمٍ، وغيره كثير مما يؤجر به المسلم في يومه، ويجعل يومه مليئًا بالحيوية، والهمة على الأعمال النافعة.

قال عليه الصلاة والسلام: «كلُّ سُلَامَى[٢٢٩] من الناس عليه صدقة، كلَّ يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته؛ فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويُميط الأذى عن الطريق صدقة»[٢٣٠].

• إفشاء السلام بالبدء بالتحية، وردِّها بمثلها أو بأحسن منها.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ﴾ [النِّسَاء: ٨٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «خَلَقَ اللهُ آدمَ، وطوله ستون ذراعًا؛ ثم قال: اذهب فسلِّم على أولئك من الملائكة، فاستمع ما يُحَيُّونك. تحيِّتُك وتحيَّةُ ذُرِّيَّتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكلُّ من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن»(٢٣١).

• إعمال أدب الاستئذان خارج البيت، وداخله؛ حتى مع أقرب الناس إليه.

فقد سأل رجل رسولَ الله ﷺ: أستأذن على أمي؟! فقال: «نعم»، فقال الرجل:

إني معها في البيت، فقال عليه الصلاة والسلام: «استأذنْ عليها». فقال الرجل: إني خادمها، فقال ﷺ: «استأذنْ عليها، أتحبُّ أن تراها عريانة»؟! قال: لا، قال: «فاستأذن عليها»(٢٣٢).

وقد تنحصر **آداب الاستئذان** بما يأتي:

١- أن لا يدخل الإنسان بيت غيره إلا بإذنه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النُّور: ٢٧].

٢- الاستئذان يكون ثلاث مرات(٢٣٣)؛

يترك المستأذن بينها فترة كافية؛ فإن أُذِن له دخل، وإلا رجع. قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [النُّور: ٢٨]، وقال عليه الصلاة والسلام: «الاستذان ثلاث؛ فإن أُذِنَ لك، وإلا فارجع»(٢٣٤).

٣- أن يعرِّف المستأذن عن نفسه، باسمه أو بكنيته التي يُعرف بها، ولا يكتفي بقوله: أنا(٢٣٥)، وذلك بعد طرقه الباب بتلطُّفٍ، والتسليم.

٤- ألّا يقف المستأذن قبالة الباب، لمظنَّة أن يطَّلع - من غير قصد - على عورة من في الدار(٢٣٦).

• التلطُّف في مخاطبة الناس؛ صغيرهم وكبيرهم؛ وهو من أهم ما تبنى عليه العلاقات بين الناس.

• وأخيرًا: **التقليل من المزاح**، حتى وإن كان المزاح صادقًا محمودًا، مع اجتناب المزاح بالباطل ألبتة؛ لأن الإكثار من المزاح المحمود يقلل الهيبة ويبعد الإلفة بالملل من تكراره، وأما المزاح بالباطل ففيه استخفاف بالسامع، وقلة هيبة لقائله، مع ما فيه من ورود الإثم في ذلك.

إن ما ذكر آنفًا هو بعض ما يواظب المسلم على فعله من أدب اجتماعي عام يُظهر لياقته الحضارية.

ويبقى - ليتمَّ للمسلم أدبُ الاسلام - أن يجتنب أنواعَ سلوكٍ لا يليق به فعلها؛ وهي كالآتي(٢٣٧):

● **المسلم** لا يغتاب الناس. قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: «الغِيبة: ذكرك أخاك بما يكره»(٢٣٨).

● **المسلم**؛ إذا سمع غيبةً لأحد: أنكر ذلك على قائله، وذبَّ عن أخيه؛ فإن عجز أو لم يُقبل منه إنكارُه فارق المجلس. قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥]. وقال

عليه الصلاة والسلام: «مَن ردَّ عن عِرْض أخيه، ردَّ الله عن وجهه النارَ يوم القيامة»(٢٣٩).

• **المسلم** لا يعمد إلى النميمة بين الناس؛ فينقل الكلام بينهم بقصد الإفساد. قال عزَّ وجلَّ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [قٓ: ١٨]، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة نمَّام»(٢٤٠).

• **المسلم** قويُّ الشخصية، صاحب موقف واضح: لا يظهر بوجهين لدى الناس.

قال تعالى -ذامًّا أهل النفاق-: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النِّسَاء: ١٤٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «تجدون شرَّ الناس ذا الوجهين؛ الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»(٢٤١).

- **المسلم لا يكذب.**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ١٠٥]. وقال ﷺ: «إن الصدق يهدي إلى البِرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وإن الرجل لَيَصْدُقُ حتى يكون صِدِّيقًا، وإن الكذب

يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل لَيَكْذِبُ حتى يُكْتَبَ عند الله كَذَّابًا»(٢٤٢).

● **المسلم لا يحدِّث بكلام إلا بعد أن يتثبَّت من صحته.**

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ [الإسرَاء: ٣٦]. وقال عليه الصلاة والسلام: «كفى بالمرء إثمًا أن يُحَدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ»(٢٤٣).

● **المسلم لا يشهد الزُّور.**

قال تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: ٣٠]. وقال ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر

الكبائر؟» ثلاثًا، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس - وكان متكئًا - فقال: «ألا وقولُ الزُّور»، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٢٤٤].

● **المسلم** لا ينال أحدًا بسوء في قول؛ فلا يلعن إنسانًا معينًا، ولا حتى دابة، ولا يسبُّ أحدًا، حتى لو كان ميتًا.

قال عليه الصلاة والسلام: «لَعْنُ المؤمنِ كقتله»[٢٤٥].

وبينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة،

فضَجِرت فلعنَتْها، فسمع رسول الله ﷺ، فقال: «خذوا ما عليها ودَعُوها، فإنها ملعونة»(٢٤٦).

وقال عليه الصلاة والسلام: «سباب المسلم فسوق»(٢٤٧). وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تسبُّوا الأموات؛ فإنهم أفضَوا إلى ما قدَّموا»(٢٤٨).

● **المسلم لا يتعرض بأذى فعليٍّ** لغيره، ولو كان أذًى يسيرًا.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨]،

وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم: من سَلِم المسلمون من لسانه ويده»(٢٤٩).

● **المسلم** صادق الأُخُوَّةِ، حَسَن السريرة: لا يُبغض أخاه، ولا يحسده، ولا يُدِيم هجره.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠]، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عبادَ الله إخوانًا، ولا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»(٢٥٠).

● **المسلم** حَسَن الظن بإخوانه؛ لا يتجسَّس عليهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحُجرَات: ١٢].

وقال ﷺ: «إياكم والظنَّ، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسَّسوا[٢٥١]، ولا تجسَّسوا»[٢٥٢].

● **المسلم يحترم الآخرين؛ فلا يقلِّل** من شأن أحد؛ فيسخر منه، أو يعيِّره بهمز أو لمز[٢٥٣]، أو ينعته بوصفٍ يكرهه. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١﴾ [الحُجرَات: ١١]،

وقال عليه الصلاة والسلام: «بحسب امرئٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاه المسلم»[٢٥٤].

● **المسلم يتصرف على طبيعته؛ فلا يتكلَّف[٢٥٥] علمًا، ولا عملًا.**

قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [صٓ: ٨٦]. وفي الأثر من قول ابن مسعود رضي الله عنه[٢٥٦]: يا أيها الناس مَنْ عَلِمَ شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم، فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم. قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [صٓ: ٨٦].

أخي المسلم؛ هذا جميعه مما يُفترض بك الالتزام به في تعاملك الأدبيِّ مع الناس، فإن اجتهدت في تطبيق ذلك - والظنُّ أنك فاعل إن شاء الله - فقد جعلت من نفسك مرآة نقيةً لدينك، تدعو إليه بفعلك، وتنصره بحسن سلوكك.



الخاتمة

تمَّ - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - هذا التَّطواف اليسير في رياض الأخلاق الإسلامية، والتخيُّرُ من مجموع محاسن آدابها، ما يكون منهاجًا عمليًا لكل مسلم أراد التخلُّق بأخلاق دينه، والتأدُّبَ بأدب نبيِّه ﷺ؛ وأحبَّ أن يُظْهِر من نفسه سلوكًا متحضِّرًا، يعكس الصورة الحقَّ لدين الإسلام؛ سائلًا المولى عزَّ وجلَّ أن يرزقني والمسلمين حُسْنَ العمل بذلك، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كلَّ النفع،

وأن يثقِّل به ميزان حسناتي ووالديَّ والمؤمنين والمؤمنات؛ إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله محمد بن عبدالله؛ صاحب الخُلُق العظيم، والدِّين القويم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

د/ خالد بن عبدالرحمن الجريسي

هوامش الكتاب

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/ ٣٨١)، ومالك في "موطئه" (٢/ ٩٠٤)، برقم (٨)، والبخاري في "الأدب المفرد" برقم (٢٧٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٤٦).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٥٤٩)، ومسلم برقم (٢٣٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨)، والترمذيُّ - واستغربه - برقم (٢٠٠٣).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩)، ومسلم برقم (٢٣٢١).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

(٧) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٠٠).

(٨) أخرجه الترمذي - وحسَّنه وصحَّحه - برقم (١١٦٢).

(٩) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/ ١٩٣)، والترمذيُّ - وحسَّنه واستغربه - برقم (٢٠١٨).

(١٠) أخرجه أحمد في "مسنده" (٦/ ٤٥١)، وأبو داود برقم (٤٧٩٩)، والترمذيُّ - وحسَّنه وصحَّحه - برقم (٢٠٠٢).

(١١) أخرجه الترمذيُّ - وصحَّحه واستغربه - برقم (٢٠٠٤)، وابن ماجه برقم (٤٢٤٦)، وابن حِبَّان في "صحيحه" (١/ ٣٤٩).

(١٢) أخرجه الترمذيُّ - وحسَّنه وصحَّحه - برقم (١٩٨٧).

(١٣) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

(١٤) أثر ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ ذكره الترمذيُّ، برقم (٢٠٠٥).

(١٥) "تهذيب مدارج السالكين" لابن القيم، ص٣٩٠.

(١٦) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١/ ٦٢)، وصحَّحه، وأقرَّه الذهبيُّ، كما أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" برقم (٢١).

(١٧) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٩)، ومسلم برقم (٣٥)، و«شعبة» أي: خِصْلة.

(١٨) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦١١٧)، ومسلم برقم (٣٧).

(١٩) "أدب الدنيا والدين" لأبي الحسن الماوردي، ص ٢٥٣.

(٢٠) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

(٢١) جزء من الحديث الذي تقدم تخريجه آنفًا.

(٢٢) "تهذيب الأخلاق الإسلامية" د/ عبدالرحمن عبدالسلام ص ٢٠٧ .

(٢٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٣)، ومسلم برقم (٥٩).

(٢٤) "الأخلاق الإسلامية وأسسها" لعبدالرحمن الميداني (١/ ٦٢٢).

(٢٥) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٧).

(٢٦) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، ص ٢٨٧.

(٢٧) "الأخلاق الإسلامية وأسسها" لعبدالرحمن الميداني (٢/ ٣٠٥).

(٢٨) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).
(٢٩) أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩).
(٣٠) استفدت معرفة تلك الأفضلية في الترتيب من الجمع بين قول ابن القيم رحمه الله: كان شيخ الإسلام رحمه الله يقول: الصبر على أداء الطاعات أكمل من الصبر على اجتناب المحرَّمات وأفضل؛ فإن مصلحة فعل الطاعة أحبُّ إلى الشارع من مصلحة ترك المعصية، ومفسدة عدم الطاعة أبغض إليه وأكره من مفسدة وجود المعصية، هذا مع قول ابن القيم رحمه الله: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته أكمل من الصبر على قضائه وقدره. انظر: "تهذيب مدارج السالكين" (٢/ ٥٦٢ و٥٧٤).
(٣١) انظر: "تهذيب مدارج السالكين" لابن القيم (٢/ ٥٦١).
(٣٢) أشير هنا إلى الحديث الشريف: «الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماوات

والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك، كلُّ الناس يغدو فبايع نفسه، فمُعتقها أو مُوبقها» [مسلم برقم ٢٢٣].

(٣٣) انظر: "أدب الدنيا والدين" لأبي الحسن الماوردي، ص ٢٨٢-٢٨٦، بتصرف.

(٣٤) "الأخلاق الإسلامية وأسسها" لعبدالرحمن الميداني (٢/ ٣٣٧).

(٣٥) أخرجه مسلم برقم (١٨).

(٣٦) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٩٥).

(٣٧) «**لا تُزْرِمُوه**»، أي: دعوه، ولا تقطعوا عليه بوله! انظر: «اللؤلؤ والمرجان" لمحمد فؤاد عبدالباقي (١/ ٦٤).

(٣٨) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٢١)، ومسلم برقم (٢٨٤).

(٣٩) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤).

(٤٠) أخرجه أبو داود برقم (٤٧٧٧)، والترمذيُّ - وحسَّنه واستغربه - برقم (٢٠٢١).

(٤١) "الأخلاق الإسلامية وأسسها" لعبدالرحمن الميداني (٢/ ٥).

(٤٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٩)، ومسلم برقم (٢٧٥٢).

(٤٣) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي - وحسَّنه وصحَّحه - برقم (١٩٢٤).

(٤٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧)، ومسلم برقم (٢٣١٨).

(٤٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٥)، ومسلم برقم (٢٦٢٩).

(٤٦) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٣٥٣)، ومسلم برقم (٢٩٨٢).

(٤٧) أخرجه البخاري برقم (٥٣٠٤).

(٤٨) ذلك الجنس اللطيف الذي ما فتئ الغرب يتغنى بوجوب تحريره من ربقة رقِّ الرجال لهن، لكن الواقع يشهد بغير ذلك؛ فالناظر إلى حال بعض

النساء في بلاد التحرر ليجدهن دون الإماء مرتبة؛ حيث صارت إحداهن - للأسف البالغ- أشبه بأجير ممتهن، وسلعة مروِّجة لما يَحِلُّ وما لا يَحِلُّ من البضائع، وقد يَدَعُها ذوو قرابتها - إذا بلغت من الكِبَر عِتِيًّا - تكابد مشاقَّ الحياة وحيدة مريضة، لا تجد كفاف يومها، وهم - مع ذلك كلِّه - يدَّعون حرية المرأة ورفعة شأنها!

(٤٩) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٤٨٢)، ومسلم برقم (٢٢٤٢).

(٥٠) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٥١٥)، ومسلم برقم (١٩٥٨).

(٥١) أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

(٥٢) "الأخلاق الإسلامية وأسسها" لعبدالرحمن الميداني (٢/ ٣٥١).

(٥٣) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٥٤) انظر: "دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين" لابن علّان الصِّدِّيقي (٣/ ٥٠).

(٥٥) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

(٥٦) "تهذيب مدارج السالكين" لابن القيم (٢/ ٦٤١).

(٥٧) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٤)، ومسلم برقم (٩٩٣).

(٥٨) تقدم تخريجه بالهامش (٥٥).

(٥٩) استفدت تلك الخطوات من ترتيب الإمام ابن القيم رحمه الله لمراتب الجود. انظر: "تهذيب مدارج السالكين" (٢/ ٦٤٣) وما بعدها؛ باختصار وتصرُّف.

(٦٠) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٩)، ومسلم برقم (١٠٠٩).

(٦١) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٨٦)، وابن السُّنِّي في "عمل اليوم والليلة" برقم (٦٥).
والحديث مرسل عن عبدالرحمن بن عجلان - تابعيّ مجهول - لكن أبا داود وصله عن أنس بمعناه بعد أن ساقه مرسلاً، قال الألباني رحمه الله: صحيح مقطوع. انظر: "صحيح سنن أبي داود" برقم (٤٨٨٦).

(٦٢) "تهذيب الأخلاق الإسلامية" ، د/ عبدالرحمن عبدالسلام، ص ٣٢٧.

(٦٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦١٧٧)، ومسلم برقم (١٧٣٥).

(٦٤) أخرجه أبو داود برقم (٤٩٩٦).

(٦٥) أخرجه البخاري برقم (٢٢٧٣).

(٦٦) "تهذيب مدارج السالكين" لابن القيم (٢/ ٧٠٧).

(٦٧) للتوسع انظر: "التبيان في آداب حملة القرآن" ، للنوويِّ، الفصل السادس، في آداب القرآن، ص ٣٧ وما بعدها.

(٦٨) مشاعر الحجِّ؛ واحدُها مَشْعَر، وهو: موضع المنسك، وكذلك الشعيرة من شعائر الحجِّ، وهي: علاماته وأفعاله المختصة به؛ كالسعي، والطواف، والحلق، والذبح. وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: ٣٦]، قال الخليل - من فقهاء اللغة -: يُقال: أَشْعَرْتُ هذه البَدَنَةَ لله نُسُكًا، أي: جعلتها شعيرة تُهدَى، والإشعار يكون بجعل

علامة تُشَدَّ في سنامها تُعرف بها. انظر: "الأزمنة والأمكنة، لأبي علي المرزوقي (١/ ٢١٩).

(٦٩) "تهذيب مدارج السالكين" لابن القيم (٢/ ٧١٧).

(٧٠) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤).

(٧١) "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير، ص ١٥٨٢.

(٧٢) "تهذيب مدارج السالكين" لابن القيم (٢/ ٧١٩).

(٧٣) المرجع السابق.

(٧٤) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/ ٨)، وأبو داود برقم (١٠٤٧).

(٧٥) انظر للمزيد: "جِلاء الأفهام" في الصلاة على خير الأنام ﷺ" لابن القيِّم، و"الشِّفا بالتعريف بحقوق المصطفى ﷺ" للقاضي عياض، و"القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ﷺ" للسخاوي.

(٧٦) من ذلك - مثالاً لا حصرًا -: "قوت القلوب"

لأبي طالب المكي، وقد اختصره العلَّامة جمال الدين القاسمي، مُعْرِضًا فيه عن بعض ما كان حواه من أخبار وآثار منكرة، وسماه "الوعظ المطلوب من قوت القلوب"، و"إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي، وقد اختصره أيضًا العلّامة القاسمي، وسماه: "موعظة المؤمنين"، و"ميزان العمل" للغزالي أيضًا، و"البر والصلة" لابن الجوزي، و"صيد الخاطر" له، و"مختصر منهاج القاصدين" لابن قدامة المقدسي، و"عدة الصابرين" لابن القيم، و"زاد المعاد" له، و"مدارج السالكين" له أيضًا، و"نزهة الفضلاء" لابن حِبان البُسْتي، و"أدب الدنيا والدين" للماوردي، و"رسالة المسترشدين" للحارث المحاسبي، و"الوصايا" له، وغير ذلك كثير، ولعل مصنفات الإمام ابن الجوزي في هذا الباب هي عين المبتغى وغاية المقصود.

(٧٧) انظـر: "إحيـاء علـوم الدين" للغزالي (٥/ ١٥٧).

(٧٨) انظر في طرق محاسبة النفس: "إحياء علوم الـديـن" لـلـغـزالـي (٥/ ١٧٣ ومـا بـعـدهـا)، باختصار وتصرف.

(٧٩) سـأعـمـد إلـى ذكـر هـذه الآداب الـمـتـعـلـقـة بالعبادات دون التعرض لأحكامها التفصيلية، مـن نـحـو كـونـهـا شـروطًـا، أو أركـانًـا، أو واجباتٍ، أو سننًا، أو هيئات؛ وذلك تيسيرًا على مريد العمل بتلك الآداب مجتمعة؛ فمن أراد معرفة أحكام ذلك - تفصيلاً - فدونه كتب الفروع بأدلتها.

(٨٠) أخرجه الترمذي - وحسَّنه - برقم (٢٠٣٥).

(٨١) أخـرجه الـنسـائي بـرقـم (٤٦٨٧)، وابـن مـاجـه برقم (٢٤٢٤).

(٨٢) أخـرجـه أحـمـد فـي "مـسـنـده" (٣/ ١٣٨)، وأبو داود برقم (٣٢٦٨).

(٨٣) سيأتي تفصيل لها - بأدلتها - ص: ٢٠٦ وما بعدها.

(٨٤) غلَّ غلولاً: خان، والغلول: الخيانة في المغنم في الحرب؛ بأن يأخذ المقاتل مما يغنم قبل أن يوزّع الإمام الغنائم، ثم يخفي ذلك. انظر: أحكام القرآن، لإِلْكيا الهرَّاسي الشافعي (٢/ ٣٠٥). و"القاموس المحيط" للفيروزأبادي، ص ١٠٣٩ مادة: (غ ل ل).

(٨٥) الغدر: المواعدة على أمر وعدم الإيفاء به. انظر: "المنهاج شرح مسلم" للنووي ص ١١١٧.

(٨٦) يقال: مَثَّل بفلانٍ مَثْلاً ومُثْلَةً: نكَّل، وهي: المَثُلَة، وجمعها: مُثُولات ومَثُلات. "القاموس المحيط" للفيروزأبادي، ص١٠٥٦ مادة (م ث ل). والمقصود بالتمثيل في الحرب، التنكيل بتشويه الجثة أو تقطيعها؛ لكون ذلك فيه مزيد ترهيب للعدو، وهو أمر منهيٌّ عنه، كما عرفت.

(٨٧) أخرجه مسلم برقم (١٧٣١).

(٨٨) أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٢).

(٨٩) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢).

(٩٠) التخريج السابق.

(٩١) أخرجه أبو داود برقم (٤٠٢٣)، والترمذيُّ - وحسَّنه - برقم (٣٥٦٠).

(٩٢) أخرجه أبو داود برقم (٥٠٩٦).

(٩٣) مستفاد من مجموع روايتين أخرجهما أبو داود برقمي (٥٠٩٤-٥٠٩٥)، والترمذيُّ - بمعناه، وصحَّحه - برقم (٣٤٢٧).

(٩٤) متفق عليه: اخرجه البخاري برقم (٦٣٦١)، ومسلم برقم (٧٦٣).

(٩٥) أخرجه مسلم برقم (٧١٣)، وليس فيه: «فليسلِّم على النبيِّ ﷺ»، وهو في رواية أبي داود والنسائي وابن ماجه، وغيرهم بأسانيد صحيحة كما افاده النوويُّ في "الأذكار" باب: ما يقوله عند دخول المسجد والخروج منه.

(٩٦) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٣٧٦)، ومسلم برقم (٢٠٢٢).

(٩٧) أخرجه أبو داود برقم (٣٧٦٧)، والترمذيُّ - وصحَّحه - برقم (١٨٥٨)، وابن ماجه برقم (٣٢٦٤).

(٩٨) أخرجه البخاري برقم (٥٣٩٩).

(٩٩) أخرجه مسلم برقم (٢٠٣٢).

(١٠٠) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/ ١٣٢)، والترمذيُّ - وحسَّنه وصحَّحه - برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه برقم (٣٣٤٩)، والنسائيُّ في "الكبرى" (٤/ ٢٧٦٩).

(١٠١) أما غسل اليدين قبل الطعام فلم أجد فيه نصًّا -مع قلة الاطلاع وقِصَر الباع - إلا أن ذلك مقرَّر استحبابه؛ لعموم الأمر بالتنظُّف في شأن الطعام.

(١٠٢) (غَمَر) - بالتحريك - الدَّسَم والزهومة من اللحم، فإن كان أثر من السَّمْن سُمِّي: وَضَر السَّمْن. انظر: "النهاية" لابن الأثير (٣/ ٣٤٥).

(١٠٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٥٢).

(١٠٤) أخرجه البخاري برقم (٥٤٥٨).

(١٠٥) أخرجه البخاري برقم (٥٤٥٩).

(١٠٦) أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/ ٤٣٩)، وأخرجه أبو داود برقم (٤٠٢٣)، والترمذيُّ - وحسَّنه - برقم (٣٤٥٨)، وابن ماجه برقم (٣٢٨٥).

(١٠٧) دون؛ أي: حقير، دون ما اعتاد أوساط الناس لُبسه. انظر: "مختار الصحاح" للرازي ص٢١٦، مادة (د و ن).

(١٠٨) أخرجه أبو داود برقم ٤٠٦٢)؛ والنَّسائي برقم (٥١٤١).

(١٠٩) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣١٠٨)، ومسلم برقم (٢٠٨٠).

(١١٠) أخرجه الترمذيُّ - وحسَّنه - برقم (٢٨١٩).

(١١١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٧٨٣)، ومسلم برقم (٢٠٨٥).

(١١٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٨٣٢)، ومسلم برقم (٢٠٧٣).
ومعلوم أن التختم بالذهب أو التزين به، وكذلك لبس الخالص من الحرير محرَّم على

ذكور الأمَّة دون النساء، واستُثْنِي من عموم ذلك رجل به حكة أو نحوها في جلده فيباح له لبس حرير، ودليل ما ذكر آنفًا قول النبيِّ ﷺ: «حُرِّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي، وأُحِلَّ لإناثهم» (الترمذيُّ)، وقد رخّص عليه الصلاة والسلام لعبدالرحمن بن عوف والزبير ابن العوّام رضي الله عنهما في قُمُص الحرير من حِكَّةٍ كانت بهما أو وجع كان بهما [متفق عليه].

(١١٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٤/ ١٨٠)، وأبو داود برقم (٤٠٨٩).

(١١٤) القَزْع: حلق بعض شعر الرأس وترك بعضه؛ كذؤابة مثلاً. انظر: "رياض الصالحين"، للنووي ص ٥١٥ .

(١١٥) تقدم تخريجه بالهامش (١٠٨).

(١١٦) أخرجه أبو داود برقم (٤١٩٥).

أما صريح النهي عن القَزْع؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهى رسول الله ﷺ عن القَزْع. [متفق عليه]. البخاري برقم (٥٩٢٠)، ومسلم برقم (٢١٢٠).

(١١٧) الإعفاء للِّحية، هو: إيفاؤها، وإبقاؤها وتوفيرها، وإرخاؤها، كما يستفاد من مجموع الروايات الواردة في الأمر بذلك.

(١١٨) المقصود بالمشركين هنا: خصوص المجوس؛ كما جاء مبيَّنًا: «جُزُّوا الشواربَ، وأَرْجُوا اللِّحَى، خالفوا المجوس». [مسلم].

(١١٩) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩).

(١٢٠) المقصود بـ«شيء»: ما يُصبغ به من حِنَّاء ونحوه، لقوله ﷺ: «إنَّ أحسن ما غُيِّر به هذا الشيب: الحِنَّاءُ والكَتَم». [أبو داود].

(١٢١) أخرجه مسلم برقم (٢١٠٢).

(١٢٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٨٨٩)، ومسلم برقم (٢٥٧).

(١٢٣) البَرَاجِم، جمع بُرْجُمَة، وهي: مفاصل الأصابع، وهي رؤوس السُّلاميات من ظهر الكفِّ، إذا قبض القابض كفَّه نشزت وارتفعت. انظر: "مختار الصحاح" للرازي، ص ٤٦، مادة (ب ر ج م).

(١٢٤) المقصود بـ«انتقاص الماء»: الاستنجاء. كما نقله مسلم عن وكيعٍ - أحد رواة هذا الحديث- عقب ذكره لهذه الرِّواية.

(١٢٥) هو: مصعب بن شيبة رَحِمَهُ اللهُ، الراوي عن طَلْق ابن حبيب، عن عبدالله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١٢٦) أخرجه مسلم برقم (٢٦١).

(١٢٧) أخرجه مسلم برقم (٢٢٥٢).

(١٢٨) أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٢).

(١٢٩) أخرجه مسلم برقم (٢٢٥٣).

(١٣٠) الإثمد: حجر الكحل الأسود، يؤتى به من أصبهان، وهو أفضل الكحل، ويؤتى به من جهة المغرب أيضًا، وأجود الإثمد: السريع التفتيت الذي لِفُتَاتِه بصيص، وداخله أملس، ليس فيه شيء من الأوساخ. انظر: "زاد المعاد" لابن القيم (٣/ ١٨٤).

(١٣١) أخرجه أبو داود برقم (٣٨٧٨).

(١٣٢) الوشْم: جعل علامة مستقرة في الجلد؛ وذلك بغرز إبرة فيه، ثم ملء الثقب بمادة ملوَّنة

تترسَّب في الجلد تسمى: النَّيْلَج. انظر: "مختار الصحاح" للرازي، مادة (و ش م).

(١٣٣) النَّمْص: نتف شعر الوجه. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٥/ ١٠٤).

(١٣٤) التفلُّج: ما تفعله المرأة بأسنانها للتفريج قليلاً ما بين الثنايا والرَّباعيات، وكنَّ - في الجاهلية - يفعلن ذلك رغبةً في التحسين. انظر: "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (٣/ ٤٢٠).

(١٣٥) صبغ الثوب بالزعفران أو التطيُّب به في البدن، يسمى: التزعفر، وهو مختصٌّ بالنساء. انظر: "مختار الصحاح" للرازي، مادة: (ز ع ف ر).

(١٣٦) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٦)، ومسلم برقم (٢٩٩٤).

(١٣٧) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٣١٣)، ومسلم برقم (٢٧١٠).

(١٣٨) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٣٢٠)، ومسلم برقم (٢٧١٤).

(١٣٩) يشار هنا إلى أن الآتي كان شيطانًا تلبَّس بصورة آدمي مسكين، يريد أن يَطْعَمَ من مال الصدقة.

(١٤٠) أخرجه البخاري برقم (٣٢٧٥).

(١٤١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٠٤٠)، ومسلم برقم (٨٠٧).

(١٤٢) أخرجه أبو داود برقم (٥٠٥٥)، والترمذي - وصحَّحه - برقم (٣٤٠٣).

(١٤٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠١٧).

(١٤٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٣١٣)، ومسلم برقم (٢٧٢٧).

(١٤٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٣٢٠)، ومسلم برقم (٢٧١٤).

(١٤٦) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٣١٢)، ومسلم برقم (٢٧١١).

(١٤٧) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٣١٣)،

ومسلم برقم (٢٧١٠).

(١٤٨) أخرجه البخاري برقم (١١٥٤).

(١٤٩) يقوم مقام الأحجار اليوم، ما عُرِف بمناديل الورق، التي تُستعمل ثم تُرمى.

(١٥٠) الرجيع: مخلَّفات الدوابِّ من روث وبعر. انظر: "مختار الصحاح" للرازي ص٢٣٥، مادة (ر ج ع).
والنهي عن التطهُّر بعظم أو رجيع؛ لأن في ذلك أذية للجنِّ، وعدم تأدُّبٍ معهم؛ حيث إن طعامهم هو: أوفر اللحم يجدونه عند كل عظم، وطعام دوابّهم يكون عند كل بعرة أو روث؛ ففي الحديث قوله ﷺ - مخاطبًا الجنَّ-: «لكم كلُّ عظم ذُكِر اسمُ الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرةٍ عَلَفٌ لدوابِّكم» متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٨٦٠)، ومسلم برقم (٤٥٠).

(١٥١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢).

(١٥٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩).

(١٥٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٧١)،

ومسلم برقم (٢٥٤٨).

(١٥٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥١).

(١٥٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٧٣)، ومسلم برقم (٩٠).

(١٥٦) أخرجه أبو داود برقم (٣٥٣٠)، وابن ماجه برقم (٢٢٩٢).

(١٥٧) ذكره البخاري في "الأدب المفرد" ص ٢٠.

(١٥٨) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٢).

(١٥٩) أخرجه أبو داود برقم (٥١٤٠).

(١٦٠) انظر في هذا المطلب: "منهاج المسلم" لأبي بكر الجزائري، ص ١٢٩ وما بعدها.

(١٦١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٧)، ومسلم برقم (٢٣١٨).

(١٦٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥).

(١٦٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٣٣١)، ومسلم برقم (١٤٦٨).

(١٦٤) الحِكَم في هذا التأذين وتلك الإقامة عديدة؛

منها: أن يكون أول ما يقرع سَمْعَ الإنسان كلماتُ النداء العُلْوي المتضمنة لكبرياء الربِّ وعظمته، والشهادةُ التي أول ما يُدْخَلُ بها في الإسلام، وهروبُ الشيطان من كلمات الأذان، وأن تكون دعوته إلى الله، وإلى دينه - الإسلام - وإلى عبادته، سابقةً على دعوة الشيطان، إلى غير ذلك من الحِكَم. انظر: "تحفة المودود بأحكام المولود" لابن القيم ص ٢٢.

(١٦٥) أحكام العقيقة عديدة، منها: استحباب كونها في اليوم السابع، كراهة أن يكسر من عظمها شيء، بل يفصل كل عظم منها من مفصله، وأن تبلغ الذبيحة عامًا فأكثر - إن كانت ضأنًا أو معزًا - وفي البقر سنتين فأكثر، وفي الإبل خمسًا فأكثر، وأن تكون سليمة من العيوب، وأن يقول الذابح: بسم الله، اللهم لك وإليك، هذه عقيقة فلان أو فلانة. انظر: "تحفة المودود" لابن القيم ص ٤٦ وما بعدها.

(١٦٦) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٤).

(١٦٧) أخرجه البخاري برقم (٥٩٩١).

(١٦٨) معنى: «يُنْسَأُ له في أثره»، أي يؤخَّر له في أجله وعمره. "رياض الصالحين" للنووي، ص ١٥٧.

(١٦٩) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٧)، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

(١٧٠) معنى: «تُسِفُّهُمُ المَلَّ»، أي: كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يَلحقهم من الإثم بما يَلحق آكل الرماد الحارِّ من الألم. "رياض الصالحين" للنووي ص ١٥٧.

(١٧١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٨).

(١٧٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٤)، ومسلم برقم (٢٥٥٦).

(١٧٣) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠١٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٤).

(١٧٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢)،

ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(١٧٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

(١٧٦) "الوعظ المطلوب" لجمال الدين القاسمي، ص ٢٨٩ .

(١٧٧) قال أنس رضي الله عنه: خدمت النبيَّ ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أُفٍّ، ولا: لِمَ صنعتَ؟ ولا: ألا صنعت! متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠٣٨)، ومسلم برقم (٢٣٠٩).

(١٧٨) إن استنكف المستخدِم عن ذلك، فلينظر إلى قول النبيِّ ﷺ: «إذا أتى أحدَكم خادمُه بطعامه، فإن لم يُجْلِسْه معه فَلْيُناوِلْه أكلةً أو أكلتين، أو لقمةً أو لقمتين». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٤٦٠)، ومسلم برقم (١٦٦٣).

(١٧٩) لقول النبيِّ ﷺ: «إخوانكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم؛ فمن كان أخوه تحت يده فلْيُطْعِمْه مما يأكل، ولْيُلْبِسْه مما يلبَس، ولا

تكلِّفوهم ما يَغْلِبُهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٠)، ومسلم برقم (١٦٦١).
و«خَوَلكم»: خَدَمكم وحَشَمكم. انظر: "المصباح المنير" للفيُّومي، ص٧٠، مادة (خ و ل).

(١٨٠) لقوله ﷺ: «إذا كانوا ثلاثة، فلا يتناجى اثنان دون الثالث». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٨٨)، ومسلم برقم (٢١٨٣).
أما إن اختلط أهل المجلس وزادوا عن ثلاثة، فلا بأس بتجاذب أطراف الحديث بين اثنين أو أكثر من الحاضرين، لقوله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة، فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، فإن ذلك يُحْزِنُه». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٠)، ومسلم برقم (٢١٨٤).

(١٨١) لقول النبيِّ ﷺ: «التثاؤب من الشيطان؛ فإذا تثاءب أحدكم فليردَّه ما استطاع» متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٣)، ومسلم برقم (٢٩٩٤).

(١٨٢) لحديث أنسٍ رضي الله عنه، قال: عطس رجلان عند النبيِّ ﷺ، فشمَّتَ أحدَهما، ولم يشمِّتِ الآخرَ، فقيل له، فقال: «هذا حَمِدَ اللهَ، وهذا لم يَحْمَدِ الله». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٥)، ومسلم برقم (٢٩٩١).

(١٨٣) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/ ٤٦٧) بلفظ: «سبحانك ربَّنا وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، والترمذي بلفظه - وصحَّحه - برقم (٣٤٣٣).

(١٨٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٤٦٥)، ومسلم برقم (٢١٢١).

(١٨٥) صحّ أن النبيَّ ﷺ نهى عن الإقران، أو القِرَان متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٥)، ومسلم برقم (٢٠٤٥). والقِرَان: أن يَقْرُنَ الآكل بين التمرتين في الأكل، قال النوويّ رحمه الله: هذا النهي متفق عليه، حتى يستأذنهم، فإذا أذنوا فلا بأس، انظر: "المنهاج في شرح مسلم" ص ١٢٩٥.

(١٨٦) لما صحَّ أن النبيَّ ﷺ ما عاب طعامًا قطُّ؛ إن اشتهاه أكله، وإلا تركه. متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٥٦٣)، ومسلم برقم (٢٠٦٤).

(١٨٧) من الدعاء المأثور قوله ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامَكم الأبرار، وصلَّت عليكم الملائكة». أخرجه أحمد في "مسنده" (٣/ ١٣٨)، وأبو داود برقم (٣٨٥٤).

(١٨٨) لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. ولعل الحكمة في ذلك أن وقت ما بعد الطعام هو مُلك لصاحب الدار؛ يفعل فيه ما يشاء، فلو استمر المدعوُّ جالسًا بعد انقضاء الطعام، صار معتديًا على حق أخيه في شيء هو أثمن ما يملك: الوقت.

(١٨٩) استجابة لأمر النبيِّ ﷺ: «أجيبوا هذه الدعوة إذا دُعِيتم لها» وكان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي الدعوة في العرس، وغير العرس، ويأتيها وهو صائم.

متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥١٧٩)، ومسلم برقم (١٤٢٩).

(١٩٠) أخرجه الحاكم - في مستدركه - (٢/ ١٨٣)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبيُّ، وأخرجه أبو داود برقم (٢١٣٠)، والترمذيُّ - وصحَّحه - برقم (١٠٩١).

(١٩١) كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: شرُّ الطعام طعام الوليمة، يُدعىٰ إليها الأغنياء ويُترك الفقراء، ومن ترك الدعوة - أي: لم يُجب الداعي - فقد عصى الله ورسولَه ﷺ. متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥١٧٧)، ومسلم برقم (١٤٣٢).

(١٩٢) أخرجه مسلم برقم (٦٧١).

(١٩٣) انظر: "المنهاج شرح مسلم" للنووي ص٤٧٢.

(١٩٤) في الحديث: «من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت،

بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنةٍ، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة». أخرجه الترمذي - واستغربه - برقم (٣٤٢٨)، والحديث مُخْتَلَفٌ في تصحيحه عند المحدِّثين، وجمهورهم على تضعيفه.

(١٩٥) لقوله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رجلًا: سَمْحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى». أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

(١٩٦) صور الغش تكاد لا تحصى، ومنها: تغيير تاريخ انتهاء صلاحية السلعة، وجعل السلعة الأجود فوق الرديئة وبيعهما جميعًا بسعر واحدٍ، بحسب ما يظهر من جودة السلعة، وإلصاق علامة تجارية، أو صناعة بلدٍ ما، على منتج ليس مضمونًا من تلك العلامة، ولا مصنوعًا في ذلك البلد.

(١٩٧) الاحتكار: شراء قوت الناس، وحبسُه إلى زمن الغلاء، والناس في حاجة إليه. انظر: "نيل

المآرب" للعلَّامة عبدالله البسّام (٣/ ٦٣).

(١٩٨) التدليس: جعل المشتري يُقبل على شراء سلعةٍ بثمن مرتفع، بسبب تغيير البائع لصورتها بما ليست عليه، كربط بائع الشاة ضرعَها لينتفخ، ومن ثَمَّ يظن المشتري أنه ممتلئ باللبن، وأن هذا حال ضرعها دومًا، وغير ذلك مما يلبِّس فيه المشتري على البائع. انظر: المرجع السابق: (٣/ ٧٣).

(١٩٩) أخرجه أبو داود برقم (٢٦٠٠)، والترمذيُّ، - واستغربه - بلفظ: «وآخر عملك»، برقم (٣٤٤٢).

(٢٠٠) لما صحَّ من «أن النبيَّ ﷺ كان يحب أن يخرج يوم الخميس». أخرجه البخاري برقم (٢٩٥٠).

أما التبكير فلقوله ﷺ: «اللهم بارك لأمتي في بكورها». أخرجه الترمذي - وحسَّنه - برقم (١٢١٢).

(٢٠١) لقوله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في الوَحْدة ما

أعلم، ما سار راكبٌ بليل وحده». أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٨).

(٢٠٢) عملًا بقوله ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فلْيُؤَمِّروا أحدهم». أخرجه أبو داود برقم (٢٦٠٨).

(٢٠٣) كان النبيُّ ﷺ إذا استوى على بعيره - خارجًا إلى سفر - كبَّر ثلاثًا، ثم قال: «سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مُقْرنين، وإنا إلى ربِّنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البِرَّ والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطوِ عنا بُعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل». أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢). ومعنى: «مُقْرِنين»: مُطيقين، و«وعثاء»: الشدة، و«كآبة»: تغيُّر النفس من حزن ونحوه، و«المنقلب»: المرجع. انظر: "رياض

الصالحين" للنووي ص ٣٤٧ .

(٢٠٤) قال جابرٌ رضي الله عنه: «كنا إذا صعدنا كبَّرنا، وإذا نزلنا سبَّحنا». أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٣).

(٢٠٥) كان ﷺ إذا أسحر، أي: وافق وقت السَّحَر في سفره، يقول: «سمع سامع بحمد الله وحُسْن بلائه علينا، ربَّنا صاحِبْنا وأَفْضِلْ علينا، عائذًا بالله من النار». أخرجه مسلم برقم (٢٧١٨).

(٢٠٦) قال ﷺ: «إذا نزل أحدكم منزلًا، فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضرُّه شيء حتى يرتحل منه». أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٢٠٧) كان ﷺ إذا دخل بلدة أو قرية في سفره يقول: «اللهم ربَّ السماوات السَّبْع وما أَظْلَلْنَ، وربَّ الأَرَضِينَ السَّبْع وما أَقْلَلْنَ، وربَّ الرياح وما ذَرَيْنَ، أسأَلك خيرَ هذه القرية، وخيرَ أهلها، وخيرَ ما فيها، وأعوذ بك من شرِّها، وشرِّ أهلها، وشرِّ ما فيها». أخرجه النسائي في "الكبرى" برقم (٨٨٢٧).

(٢٠٨) كان ﷺ إذا خاف قومًا، قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم». أخرجه أبو داود برقم (١٥٣٧).

(٢٠٩) قال ﷺ: «ثلاث دعوات مستجاباتٌ لا شك فيهن؛ دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده». أخرجه أحمد في "مسنده" (٢: ٢٥٨)، والترمذيُّ - وحسَّنه - برقم (٣٤٤٨).

(٢١٠) لقوله ﷺ: «من كان معه فَضْلُ ظَهْرٍ، فلْيَعُدْ به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زادٍ، فليعد به على من لا زاد له». أخرجه مسلم برقم (١٧٢٨).

(٢١١) لقول النبيِّ ﷺ: «السفر قطعة من العذاب؛ يَمنع أحدَكم طعامَه وشرابَه ونومَه؛ فإذا قضى نَهْمَتَه فلْيُعَجِّلْ إلى أهله». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٨٠٤)، ومسلم برقم (١٧٢٧).

(٢١٢) قال أنس رضي الله عنه: أَقْبَلْنا مع النبي ﷺ، حتى إذا

كنا بظهر المدينة، قال: «آيبون تائبون عابدون، لربِّنا حامدون»، فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة. أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢).

(٢١٣) قال جابر: قدمت بالغداة، فجئنا إلى المسجد، فوجدت النبيَّ ﷺ على باب المسجد، فقال: «الآن قَدِمْتَ؟»، قلت: نعم، قال: «فَدَع جملَك، وادخل فصلِّ ركعتين»، فدخلتُ فصلَّيت. متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٠٩٧)، ومسلم برقم (٧١٥).

(٢١٤) «نهى النبيُّ ﷺ أن يَطْرُقَ أهله ليلًا». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٨٠١)، ومسلم برقم (٧١٦).

(٢١٥) كما عنون البخاري في "صحيحه": باب وجوب عيادة المريض؛ حيث فهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قول النبيِّ ﷺ «عودوا المريض» الوجوب؛ وذلك على ظاهر الأمر بالعيادة، ولا صارف

لذلك، لكن الجمهور على أن العيادة نَدْب (مستحبة)، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض. انظر: "فتح الباري" لابن حجر (١٠/ ١١٧).

(٢١٦) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٩). و«العاني»: الأسير.

(٢١٧) انظر: "فتح الباري" لابن حجر (١٠/ ١١٨).

(٢١٨) من الأدعية التي صحت في سُنَّة النبيِّ ﷺ:

- «لا بأس عليك، طَهور إن شاء الله». أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٦).
- «اللهم أَذْهِبِ الباس، ربَّ الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سَقَمًا». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٥)، ومسلم برقم (٢١٩١).
- «بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عينٍ حاسدٍ، اللهُ يشفيك، بسم الله أرقيك». أخرجه مسلم برقم (٢١٨٦).

وإن شئت المزيد من الأدعية والرقى،

فانظر كتابنا : "العلاج والرقى بما صحَّ عن المصطفى ﷺ " .

(٢١٩) كما فعل النبيُّ ﷺ حين عاد سعدَ بن أبي وقاص رضي الله عنه ؛ فوضع يده ﷺ على جبهة سعدٍ، ثم مسح يده على وجه سعدٍ وبطنه، ثم دعا له قائلًا : «اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، اللهم اشف سعدًا، وأتمم له هجرته» . متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٩)، ومسلم برقم (١٦٢٨).

(٢٢٠) من ذلك أن يذكِّر المريضَ بقوله ﷺ : «ما من مسلم يصيبه أذًى، إلا حاتَّتْ عنه خطاياه، كما تَحَاتُّ ورقُ الشجر»، متفق عليه : أخرجه البخاري برقم (٥٦٦١)، ومسلم برقم (٢٥٧١) .

(٢٢١) إن من أحبِّ ما تطيب به نفس المريض : تبشيره بالشفاء بكلمة طيبة، مع تبشيره بتكفير ذنوبه، حتى وإن كان ظاهر حاله أنه على شفير الهلاك؛ فقد دخل رسول الله ﷺ على أعرابيٍّ يعوده من حمى أصابته؛ فقال : «لا بأس،

طَهور إن شاء الله» فقال الرجل، قلتَ: طهور؟ كلا، بل هي حمى تفور، على شيخ كبير، كَيْمَا - أي: من أجل أن - تُزيره القبور!! فقال عليه الصلاة والسلام: «فَنَعَمْ إذًا». أخرجه البخاري برقم (٣٦١٦).

(٢٢٢) من ذلك نوعُ طعامٍ أرشدت إليه السُّنَّة، يسمى: (التلبينة)؛ وهي: حساء نضيج يُعمل من دقيق أو نخالةٍ، يُجعل فيه العسل؛ قال عليه الصلاة والسلام: «التلبينة مَجَمَّةٌ لفؤاد المريض تَذهب ببعض الحُزْن». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٤١٧)، ومسلم برقم (٢٢١٦).

(٢٢٣) قيل في مدة عيادة المريض: إنها كجلسة الخطيب بين الخطبتين يوم الجمعة، ووصفها بعضهم شعرًا:

أدب العيادة أن تكون مسلِّمًا
وتكونَ في أَثَرِ السلام مودِّعًا

انظر: «من أدب الإسلام" لعبد الفتاح أبو غدة، ص ٥١.

(٢٢٤) من ذلك أن يدعو للميت، فيقول: «اللهم اغفر له، وارفع درجته في المهديِّين، واْخْلُفْه في عَقِبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالمين، وافسح له في قبره، ونوِّر له فيه». أخرجه مسلم برقم (٩٢٠).

ومنه أيضًا: اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأَكْرِم نُزُلَه، ووسِّعْ مُدْخَلَه، واغسله بالماء والثلج والبَرَد، ونَقِّه من الخطايا كما نَقَّيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدَّنَس». أخرجه مسلم برقم (٩٦٣).

ومما يذكَّر به المعزَّىٰ، قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقول النبيِّ ﷺ: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بمقدار، فلتصبر ولتحتسب». متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٢٨٤)، ومسلم برقم (٩٢٣).

(٢٢٥) لقول النبيِّ ﷺ: «إذا صلَّيتم على الميت؛ فأخلصوا له الدعاء». أخرجه أبو داود برقم (٣١٩٩).

(٢٢٦) كان النبيُّ ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا له بالتثبيت، فإنه الآن يُسأل»، أخرجه أبو داود برقم (٣٢٢١).

(٢٢٧) لقوله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فإنه قد أتاهم أمرٌ يشغلهم». أخرجه أبو داود برقم (٣١٣٢)، والترمذي - وصحَّحه - برقم (٩٩٨).

(٢٢٨) أخرجه مسلم برقم (٩١٨).

(٢٢٩) السُّلَامَى: الأنملة من أنامل الأصابع، أو كلُّ

عظم مجوَّف من صغار العظم؛ والمعنى: على كل مسلم مكلف -بعدد كلِّ مفصل من عظامه- صدقة لله عزَّ وجلَّ؛ شكرًا له بأنْ جعل لعظامه مفاصلَ يتمكن بها من القبض والبسط، وخُصَّتْ بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصناعات التي اختص بها الآدمي. انظر: "اللؤلؤ والمرجان" لمحمد فؤاد عبدالباقي (١/ ٢٠٧).

(٢٣٠) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٩٨٩)، ومسلم برقم (١٠٠٩).

(٢٣١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٦)، ومسلم برقم (٢٨٤١).

(٢٣٢) رواه مالك في "الموطأ" - مرسلًا صحيحًا- عن عطاء بن يسار (٢/ ٩٦٣).

(٢٣٣) يلحظ هنا أن تحديد مرات الاستئذان بثلاث أمر توقيفي - جاء بإعلام الشارع، لا باختيار الناس لهذا العدد-: وهو يحفظ للمستأذَن عليه

حقه في الإذن بالدخول أو عدمه، كما يحفظ للمستأذِن وقته، فلا يهدره بمزيد الانتظار حتى يؤذن له.

(٢٣٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٤٥)، ومسلم برقم (٢١٥٣).

(٢٣٥) لأن كلمة (أنا) لفظ مشترك لكل طارق، لا تُفْصِحُ عن هوية المستأذن؛ فقد استفتح جبريل عليه السلام أبواب السماوات السبع - ليلة الإسراء والمعراج -؛ بتصريحه باسمه وباسم نبيِّنا محمد ﷺ، كما في حديث أنس رضي الله عنه المتفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٨٨٧)، ومسلم برقم (١٦٢).

وعن جابر رضي الله عنه، قال: أتيت النبيَّ ﷺ فدَقَقْتُ الباب، فقال: «من ذا؟»، فقلت: أنا، فقال: «أنا أنا؟»، كأنه كرهها. متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٢٥)، ومسلم برقم (٢١٥٥).

(٢٣٦) لقول النبيِّ ﷺ: «إنما جُعل الإذن من أجل البصر»، متفق عليه: أخرجه البخاري برقم

(٥٩٢٤)، ومسلم برقم (٢١٥٦).
فلو فُرِض أن مستأذنًا دقَّ الباب، ثم سلّم، وعرَّف بنفسه، وأُذِنَ له، فلما أن فُتِح البابُ استقبله بوجهه، فاطّلع على عورةٍ لأهل البيت، لما كان ثمة فائدة لاستئذانه.

(٢٣٧) استفدت مجموع تلك الأمور المنهي عنها من كتاب: "رياض الصالحين" للإمام النووي، ص٤٧٥ وما بعدها.

(٢٣٨) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٩).

(٢٣٩) أخرجه الترمذي - وحسَّنه - برقم (١٩٣١).

(٢٤٠) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٦)، ومسلم برقم (١٠٥).

(٢٤١) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٣٤٩٤)، ومسلم برقم (٢٥٢٦).

(٢٤٢) تقدم تخريجه بالهامش (٢٠).

(٢٤٣) أخرجه مسلم برقم (٥).

(٢٤٤) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)، ومسلم برقم (٨٧).

(٢٤٥) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧)، ومسلم برقم (١١٠).

(٢٤٦) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٥).

(٢٤٧) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٤٨)، ومسلم برقم (٦٤).

(٢٤٨) أخرجه البخاري برقم (١٣٩٣).

(٢٤٩) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (١٠)، ومسلم برقم (٤٢).

(٢٥٠) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٥)، ومسلم برقم (٢٥٥٩).

(٢٥١) التجسُّس يطلق غالبًا في الشرِّ، ومنه الجاسوس، وأما التحسس - بالحاء المهملة - فيكون غالبًا في الخير، كما قال تعالى إخبارًا عن يعقوب أنه قال: ﴿يَـٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف: ٨٧]، وقد يستعمل كلٌّ منهما في الشر، كما في هذا الحديث؛ حيث نهى ﷺ عن كلا الأمرين: التحسُّس والتجسُّس. انظر: "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ص ١٦٠٣.

(٢٥٢) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٦)، ومسلم برقم (٢٥٦٣).

(٢٥٣) الهمز: إزدراء الناس والتنقُّص بهم، قولًا. واللمز: فعل ذلك بإشارة باليد، أو العين. قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ [الهُمَزة: ١]. انظر: "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير ص١٨٧٤ .

(٢٥٤) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٢٥٥) التكلُّف: فعلُ وقولُ ما لا مصلحة فيه، بمشقة. انظر: "رياض الصالحين" للنووي ص ٥١٩.

(٢٥٦) قول ابن مسعود رضي الله عنه ذكره البخاري برقم (٤٨٠٩)، ومسلم برقم (٢٧٩٨).



المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

صدر للمؤلف

١- **رغبة.** طبعة ثنائية اللغة: (عربي / إنجليزي).

٢- **دليلك إلى رغبة.** (عربي - إنجليزي).

٣- **عائلة الجريسي.** (عربي - إنجليزي).

٤- **أخلاق الملك عبدالعزيز** (عربي - إنجليزي).

٥- **من وثائق العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.** (مجلد ١- ٣).

٦- **إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري.** (عربي - إنجليزي - فرنسي).

٧- **القيادة الإدارية من المنظور الإسلامي والإداري.** (عربي - إنجليزي).

٨- **أخلاقيات الإدارة من المنظور الإسلامي والإداري.** (عربي - إنجليزي).

٩- **سلوك المستهلك:** دراسة تحليلية للقرارات الشرائية للأسرة السعودية. (نموذج تطبيقي على شراء الحاسب الآلي) (عربي - إنجليزي).

١٠- **العصبية القبلية من المنظور الإسلامي.** (عربي - إنجليزي).

١١- **الفن : الواقع والمأمول.**

١٢- **فضل تعدد الزوجات.** (عربي - إنجليزي - فرنسي).

١٣- **نساؤنا إلى أين ؟**

١٤- **انحراف الشباب وطرق العلاج على ضوء الكتاب والسنة.**

١٥- **التحصين من كيد الشياطين.** (عربي - إنجليزي).

١٦- الحذر من السحر. (عربي - إنجليزي).

١٧- العلاج والرقى بما صحّ عن المصطفى ﷺ.

١٨- فتاوى علماء البلد الحرام. (عربي - إنجيلزي - فرنسي - أوردو)

سلسلة «زاد المؤمن»، وقد صدر منها الكتب الآتية:

١٩- منتقى الأذكار (١) (عربي - إنجليزي - فرنسي).

٢٠- جوامع الدعاء (٢) (عربي - إنجليزي - فرنسي).

٢١- وِرد اليوم والليلة (٣) (عربي - إنجليزي - فرنسي).

٢٢- معلِّم التجويد (٤)

٢٣- ارق نفسك وأهلك بنفسك (٥) (عربي - إنجليزي).

٢٤- الرقية الشرعية (٦)

٢٥- رقية الأبرار (٧)

٢٦- الصوم جُنَّة (٨) (عربي - إنجليزي).

٢٧- دليل المعتمر (٩) (عربي - إنجليزي).

٢٨- دليل الحاجّ (١٠) (عربي - إنجليزي).

٢٩- خُلُق المسلم (١١) (عربي - إنجليزي)

كتب التحقيق بالاشتراك مع الدكتور/ سعد بن عبدالله الحميد:

٣٠- كتاب "العلل" لابن أبي حاتم.

٣١- معجم الطبراني (مسند النعمان بن بشير، قطعة من المجلد الحادي والعشرين).

٣٢- معجم الطبراني (المجلد الثالث عشر).

٣٣- سؤالات السُّلَمي للدارقطني.

٣٤- آفة أصحاب الحديث لابن الجوزي.